أساليب توجيه أبي شامة (ت: ٥٩٠ هـ) للقراءات في (إبراز المعاني)

إعـــــداد

د. جمعة حمدي أحمد سالم

المدرس بقسم القراءات وعلومها

بكلية القرآن الكريم بطنطا

١٤٤١ هـ = ٢٠١٩ م

ملخص البحث

أساليب توجيه أبي شامة (ت: ٥٩٠ هـ) للقراءات في (إبراز المعاني)

د / جمعة حمدي سالم

مدرس بقسم القراءات كلية القرآن الكريم بطنطا – جامعة الأزهر

البريد الاليكتروني : gomaasalem@azhar.edu.eg

يعدّ الإمام أبو شامة – رحمه الله – من أبرز شرّاح منظومة (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع) للإمام الشاطبي ، وقد أودع الإمام أبو شامة – رحمه الله – كتابه (إبراز المعاني) مسائل عديدة وقضايا فريدة حوت كل ما يجول في خلد طالب علم القراءات القرآنية ، فقد كان متفرداً في شرحه ونهجه ، وسلك طريقـًا لم يسبقه إليه أحد ، لذا كان لهذا الكتاب السبق في تلهّف الباحثين حوله ليستقوا من من عذب شرحه وفيض عباراته ودقائق أسراره وفتوحاته .

وكان لتوجيه القراءات القرآنية النصيب الأكبر والحظ الأوفر في كتاب إبراز المعاني لأبي شامة المقدسي .

ونظراً لتنوع ثقافة الإمام أبي شامة المقدسي وسعة اطّلاعه ونزعته اللغوية وشغفه بعلم القراءات القرآنية وفنونها فقد تعدّدت أدوات وأساليب التوجيه لديه ، فوجّه القراءة بـ :

١ ـ ورودها في موضع آخر من القرآن الكريم ، أو حسب سياق الآية الكريمة .

٢ ـ وجودها في أحاديث النبي – صلىٰ اله عليه وسلم – .

٣ ـ جريانها علىٰ ألسنة أحد القبائل العربية .

٤ ـ موافقتها رسم أحد المصاحف العثمانية .

٥ ـ كونها في أشعار العرب ونثرهم .

إلىٰ غير ذلك من الأدوات التي ضمّنها الإمام أبو شامة – رحمه الله – كتابه (إبراز المعاني) وأبرزها في بحثي هذا – إن شاء الله – .

أسأل الله القدير أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم – آمين –

الباحث

جمعة حمدي أحمد سالم

المدرس بقسم القراءات بكلية القرآن الكريم

The diversity of guidance of Imam Abu Shama al-Maqdisi through his book Highlighting Meanings

Dr. Juma Hamdi Salem
Teacher in the Department of Readings Faculty of the Holy Quran In Tanta - Al-Azhar University
E.Mail: gomaasalem@azhar.edu.eg

Abstract:
The diversity of guidance of Imam Abu Shama al-Maqdisi through)
(his book Highlighting meanings

Imam Abu Shama - may God have mercy on him - is one of the most prominent commentators of the system (score wishes and congratulations in the seven readings) of Imam Shatby, and Imam Abu Shama - may God have mercy on him - deposited his book (highlighting meanings) many issues and unique issues that contained all that goes into the mind of a student of knowledge Quranic readings, as he was unique in his explanation and approach, and he took a path that no one had preceded, so this book was the first in the eagerness of researchers around it to draw from the torment of its explanation and the overflow of its phrases and the secrets and secrets of its openings.

In view of the diversity of the culture of Imam Abi Shama Al-Maqdisi, his familiarity, linguistic tendency, and his passion for Quranic readings and arts, he has many tools and methods of guidance for him, direct reading to:

1- It appears elsewhere in the Noble Qur'an, or according to the context of the noble verse.
2 - Its presence in the hadiths of the Prophet - peace be upon him -.
3- Its flow into the tongues of an Arab tribe.
4- Her approval to draw a copy of the Ottoman Qur'an.
5- Being in Arab poems and prose.

To other tools included by Imam Abu Shama - may God have mercy on him - his book (highlighting meanings) and most prominent in my research this - God willing -.

I ask God Almighty to do this work and make it pure for his honorable face - Amen -

Researcher>

Dr.Juma Hamdi Ahmed Salem

The teacher in the readings section of the college of the Noble Qur'an

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، القائل جل شأنه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١)،وأعجز الثقلين الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، أرسله ربه رحمة للعالمين، شاهداً ومبشراً ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيراً، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعـد .....

فإن من أعظم النعم التي أنعم الله بها علىٰ هذه الأمة القرآن الكريم، وإن دراسته أفضل ما يشتغل به الباحثون وأحقّ ما يتسابق فيه المتسابقون، ومن ثم فقد عني به العلماء عناية فائقة، وأفنوا فيه أعمارهم تلاوةً وحفظًا وفهمًا وتفسيراً ورسمًا وضبطًا واستنباطًا واشتغالاً بسائر علومه، وألفوا في ذلك المؤلفات القيمة، فمنهم من ألف في رسمه وضبطه، ومنهم من ألف في قراءاته، ومنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من ألف في تناسب آياته وسوره، ومنهم من ألف في

(١) سورة الإسراء الآية : ٨٨ .

استنباط الأحكام منه ، إلىٰ غير ذلك من العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالىٰ .

ويعدّ علم القراءات القرآنية من أشرف هذه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، إذ به يعرف الصحيح الذي هو أم الكتاب، ويُتعبد به في الصلاة، ثم هو أساس استنباطات الفقهاء، حيث يظهر الاختلاف في الأحكام تبعـًا لاختلاف القراءات، فضلاً عن كونه من أهم العلوم التي يحتاج المفسر إلىٰ دراستها وإتقانها، حيث يستعين به علىٰ معرفة اختلاف الألفاظ وتغير الحركات وترجيح بعض الوجوه المحتملة علىٰ بعض .

وبالجملة فلا يستغني عن هذا العلم مفسر ولا فقيه ولا محدّث ولا لغوي ولا نحوي لتعلقه بهذه العلوم جميعـًا، بل وبغيرها من العلوم .

وقد حظي علم القراءات باهتمام العلماء : متقدميهم ومتأخريهم، ولا أدل علىٰ ذلك من كثرة المصنفات التي صنفت فيه رواية ودراية .

ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بهذا العلم وصنّفوا فيه : الإمام الشهير والعالم الكبير أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، شارح الشاطبية، والذىٰ يعد من أكثر العلماء الذين اشتغلوا بهذا العلم الجليل، وقد أحاط في شرحه هذا أبيات الشاطبي من جميع نواحيه فجمع أدوات علم القراءات كلّها وما يتعلّق بها من علوم، حتىٰ جاء شرحه المعروف بـ (إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع)

شاملاً : توجيه القراءات القرآنية، ورسم المصحف الشريف، والوقف والابتداء، والقراءات الشاذة، وغيرها من الفنون، فيعدّ شرحه بحقٍّ موسوعةً قرآنيةً يندر وجودها في هذا الزمان بل وعلىٰ مرّ العصور، كيف لا وشيخه هو العالم الجليل الإمام السخاوي تلميذ إمامنا الشاطبي ناظم الشاطبية (حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع).

وبعد قراءة في شخصية هذا العالم الجليل وتمعّن في كتابه إبراز المعاني رأيت أن أقوم بعمل يبرز نواحي توجيه القراءات القرآنية فيه وكيف كان الإمام أبو شامة يتعامل مع توجيه القراءات الواردة في أبيات الإمام الشاطبي.

وأسأل الله القدير أن يجعل هذا العمل خالصـًا لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

ومن أهم **الأسباب** التي دعتني إلىٰ اختيار هذا الموضوع ما يأتي :

أولاً : عظم مكانة علم القراءات، لتعلقه بكلام الله - عز وجل - أشرف كلام يُسمع ويُقرأ .

ثانيـاً : أن الإمام أبا شامة من أشهر شُرَّاح الشاطبية، وكان شرحه فريداً في بابه، وجمع بين دفتيه فنونـًا عدة تتعلق بعلم القراءات كالتوجيه ورسم المصحف الشريف وغيرهما من العلوم .

ثالثاً: انفراد الإمام أبي شامة في مصنّفه بمنهج متميز عن سابقيه من الذين تصدوا لشرح منظومة الشاطبية فلم يؤلف مثله في علم القراءات .

رابعاً: أن إخراج مثل هذا العمل يسهم في خدمة كثير من الفنون المتعلقة بالقراءات.

خامساً: شهرة الإمام أبي شامة، وتنوّع ثقافته العلمية، وبراعته في مختلف العلوم، ولاسيما علم القراءات .

لذلك عزمت علىٰ دراسة جهود الإمام أبي شامة وعملي في جانب توجيه علم القراءات حتىٰ يخرج هذا العمل علىٰ هذه الصورة التي أدعو الله – عزّ وجلّ – أن يرضاها ويرضىٰ بها عنّا وأن يجعلها في ميزان حسناتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

واقتضت طبيعة بحث هذا الموضوع أن يأتي في مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس :

أما المقدمة؛ فذكرت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، وخطة البحث ، ومنهج البحث .

وأما المبحثان فهما :

المبحث الأول : حياة الإمام أبي شامة، وتحته خمسة مطالب :-

المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ومولده، ونشأته .

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه .

المطلب الثالث : مؤلفاته، وآراء العلماء فيه.

المطلب الرابع : إلقاء الضوء علىٰ مصنف إبراز المعاني من حرز الأماني

المطلب الخامس: وفاة الإمام أبي شامة .

وأما **المبحث الثاني** فهو : تنوّع توجيه القراءات عند الإمام أبي شامة .

ويشتمل علىٰ ثمانية مطالب وهي : -

المطلب الأول : توجيه القراءة بما ناسبها في سياق الآية أو بوجود نظير لها في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : توجيه القراءات بوجودها في حديث النبي ﷺ أو أحد الآثار الواردة عن الصحابة – رضي الله عنهم – .

المطلب الثالث : توجيه القراءات بوجودها في كلام العرب.

المطلب الرابع : توجيه القراءات بكونها أحد لغات القبائل العربية.

المطلب الخامس: توجيه القراءة من خلال المعنىٰ .

المطلب السادس: توجيه أبي شامة القراءة ببيان ووجهها الإعرابي

المطلب السابع : توجيه أبي شامة القراءة بكونها موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية.

وأما الخاتمة فقد اشتملت علىٰ : أهم النتائج، وأهم التوصيات والمقترحات .

وأما الفهارس العلمية فشملت : ثبتًا بأهم المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات .

منهج البحث :

منهجي في البحث يتكون من محورين هما: -

الأول : بيان منهج الإمام أبي شامة في توجيه القراءات الواردة في منظومة الشاطبية.

الثاني :تنوع الإمام أبي شامة في توجيه القراءات القرآنية واستخدامه أدوات عدة لهذا الغرض .

أقول : إني قد بذلت جهداً في سبيل إخراج هذا العمل علىٰ هذه الصورة، فإن كنت قد وافقت الصواب فبتوفيق الله تعالىٰ وتسديده، وإن كانت الأخرىٰ فحسبي أنني بذلت غاية الجهد، وليس الكمال إلا لله سبحانه وتعالىٰ .

وأسأل الله تعالىٰ أن يجعله عملاً خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من اطّلع عليه، وأن يوفقنا جميعًا لخدمة كتابه العزيز – آمين –

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

المبحث الأول

حياة الإمام أبي شامة

وتحته خمسة مطالب :-

المطـلب **الأول**: اسمه، وكنيته، ومولده، ونشأته .

المطلب **الثاني**: شيوخه وتلاميذه .

المطلب **الثالث** : مؤلفاته، وآراء العلماء فيه.

المطلب **الرابع** : مصنف إبراز المعاني من حرز الأماني .

المطلب **الخامس**: وفاة الإمام أبي شامة .

المطلب الأول

التعريف بأبي شامة

أولاً : اسمه :

هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمَّد المقدسي الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي الأصولي المحدِّث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة.[١]

ثانياً : كنيته :

كني الإمام أبو شامة المقدسي بأكثر من كنية أشهرها : (أبو محمَّد)[٢]، و(أبو القاسم)[٣]، أما (أبو شامة) فهذه ليست بكنية له بل هي من أوصافه؛ لأنه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة .[٤]

ثالثاً : مولده :

ولد الإمام أبو شامة المقدسي بدمشق ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وكان ذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة من هجرة المصطفىٰ – صلىٰ الله عليه وسلم – [٥]، الموافق ١٢٠٢

(١) ابن الجزري غاية النهاية ١/ ٣٦٥ .

(٢) ابن كثير البداية والنهاية١٣/ ٢٥٠.

(٣) الذهبي معرفة القراء الكبار ١ / ٣٦١ ، وابن الجزري غاية النهاية ١/ ٣٦٥.

(٤) السيوطي ينظر بغية الوعاة ٢/ ٧٧.

(٥) ابن كثير البداية والنهاية ١٣ / ٢٥٠.

ميلادية[١] وكانت ولادته من هذه السنة برأس درب الفواخير بدمشق داخل الباب الشرقي[٢].

رابعاً : نشاته :

ذكرت التراجم أن أبا شامة " حبَّب الله تعالىٰ إليه من صغره حفظ الكتاب العزيز، وطلب العلم، فجعل ذلك همته، فلم يشعر والده به إلا وهو يقول له: " قد ختمت القرآن حفظًا "، ولم يبلغ العاشرة من عمره، مع إتقانه لحفظه وتلاوته وأدائه علىٰ يد أحمد بن كَشَاسب [٣] (ت٦٤٣هـ)، " وكان في صغره يقرأ القرآن في جامع دمشق ينظر إلىٰ مشايخ العلم كالشيخ فخر الدين أبي منصور ابن عساكر، ويروي طريقه في فتاوىٰ المسلمين، وحاجة الناس إليه، وسماع الحديث النبوي

(١) خير الدين الزركلي الأعلام٣/ ٢٩٩.

(٢) أبو شامة تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل علىٰ الروضتين : ٣٧ .

(٣) أَحْمد بن كشاسب بِفَتْح الْكَاف وشين مُعْجمَة مَفْتُوحَة ثمَّ ألف سَاكِنة ثمَّ سين مُهْملَة ثمَّ بَاء مُوَحدَة ابْن عَليّ الدزماري بِكَسْر الدَّال الْمُهْملَة بعْدهَا زَاي سَاكِنة ثمَّ مِيم ثمَّ ألف ثمَّ رَاء مَكْسُورَة ثمَّ يَاء النّسَب الشَّيْخ كَمَال الدّين الْفَقِيه الصُّوفِي أَبُو الْعَبَّاس ، قَالَ الشَّيْخ شهَاب الدّين أَبُو شامة وَهُوَ أحد من قَرَأت عَلَيْهِ فِي صباي قَالَ وَهُوَ الَّذِي ذكره شَيخنَا أَبُو الْحسن - يَعْنِي السخاوي - فِي خطْبَة التَّفْسِير وَأثْنىٰ عَلَيْهِ كَانَ يلازم حَلقَة الشَّيْخ لسَمَاع التَّفْسِير وَفِي وَقت ختمات الطّلبَة ، توفّي فِي سَابِع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثَلَاث وَأَرْبَعين وسِتمِائَة . طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٨/ ٣٠ .

عليه، ، وهو يمرُّ من مقصورة الصحابة[١] – رضي الله عنهم – إلىٰ تحت قبة النسر[٢] لسماع الحديث إلىٰ المدرسة التقوية لإلقاء دروس الفقه، ويرىٰ إقبال الناس عليه، وترددهم إليه، مع حسن سمته، واقتصاده في لباسه، فيستحسن طريقته، ويتمنَّىٰ رتبته في العلم ونشره له وانتفاع الناس بفتاويه، فبلَّغه الله من ذلك فوق ما تمنَّاه "[٣].

وعندما بلغ عمره ستة عشر عامًا كان قد أتقن كثيرا من علوم القراءات المشهورة علىٰ يد أستاذه علم الدين السخاوي المصري

---

(١) في جامع دمشق ثلاث مقصورات أحدها مقصورة الصحابة وهي أول مقصورة في الإسلام وضعها معاوية بن أبي سفيان . الجامع الأموي في دمشق علي الطنطاوي : ٥٢ ، ٥٣ – دار المنارة – جدة – ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

(٢) قبة النسر في الجامع الأموي : هي من منجزات الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك –رحمه الله، وكانت قد سقطت بعد بنائها لأول مرة، وقد أحزن سقوطها الوليد بن عبد الملك، فجاءه بنّاء شامي واشترط علىٰ الخليفة أن لا يعمل فيها أحد غيره، فكان له ذلك، فوضع الأساسات وغاب بعدها عامًا كاملاً، وعاد إليها فوجدها قد نزلت قليلاً، سبب تسميتها قبة النسر: من هنا كان سقوطها فابنه الآن فإنها لا تهوي إن شاء الله، وتم البناء واستقرت. للمزيد عن وصف المسجد ينظر رحلة ابن جبير : ٢٣٦ ، ٢٣٧ - دار صادر – بيروت .
يقول ابن جبير رحمه الله: "فإذا استقبلتها أبصرت منظرا رائعا، ومرأىٰ هائلا، يشبهه الناس بنسر طائر، كأن القبة رأسه، والغارب جؤجؤه، ونصف جدار البلاط عن يمين، ونصف الثاني عن شمال، جناحاه" فقال للوليد بن عبد الملك

(٣) السابق.

(ت٦٤٣هـ) تلميذ الشاطبي، وكان لهذين الشيخين[١] أثر كبير في بناء شخصيته العلميَّة وبخاصة في علوم القراءات والتجويد والرسم والضبط وغيرها من علوم القرآن، ومصنَّفاته خير دليل علىٰ ذلك، ثم انتقل - رحمه الله - إلىٰ مدينة الإسكندرية بمصر المحروسة ودرس فيها علم الحديث علىٰ يد الشيخ أبي القاسم عيسىٰ بن عبد العزيز (ت٦٢٩هـ) وغيره، قال عنه السيوطي " واعتنىٰ بالحديث، وأتقن الفقه، ودرس وأفتىٰ، وبرع في العربية، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية والإقراء بالتربة الأشرفية ومدرس الركنية[٢]؛ وصاحب المصنفات العديدة المفيدة، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات

---

(١) ابن الجزري غاية النهاية ١ / ٣٦٥ .

(٢) يقصد بذلك المدرسة الركنية بدمشق وقد قال عنها ابن كثير :" واقف الركنية الأمير الكبير ركن الدين منكورس الْفَلَكِيُّ غُلَامُ فَلَكِ الدِّينِ أَخِي الْمَلِكِ الْعَادِلِ، لأنه وقف الْفَلَكِيَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ، يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ وَقْتَ السَّحَرِ إِلَىٰ الْجَامِعِ وَحْدَهُ بِطَوَّافَةٍ وَيُوَاظِبُ عَلَىٰ حُضُورِ الصَّلَوَاتِ فِيهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَكَانَ قَلِيلَ الْكَلَامِ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، وَقَدْ بَنَىٰ الْمَدْرَسَةَ الرُّكْنِيَّةَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا أَوْقَافًا كَثِيرَةً وَعَمِلَ عندها تربة، وحين توفىٰ بقرية حدود حُمِلَ إِلَيْهَا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ. البداية والنهاية ١٣/ ١٤١ . تقع المدرسة الركنية خارج أسوار مدينة دمشق القديمة في نهاية شارع ابن طولون الصالحي الواصل من ساحة حطين (الميسات) إلىٰ ساحة شمدين آغا، و تهيمن هذه المدرسة علىٰ الساحة بأكملها في حي ركن الدين بسفح جبل قاسيون .

كثيرة، وله شرح الشاطبية، وله الرد إلىٰ الأمر الأول[١] ، وما رئي له من المنامات الحسنة[٢].وكان ذا فنون كثيرة، أخبرني علم الدين البرزالي الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزاري، أنه كان يقول: بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد، وقد كان ينظم أشعارا في أوقات، فمنها ما هو مستحلىٰ، ومنها ما لا يستحلىٰ، فالله يغفر لنا وله. وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في نفاسته وديانته، وعفته وأمانته ....." [٣].

وقال عنه شمس القراء ابن الجزري – رحمه الله – :" الشيخ الإمام العلامة الحجة والحافظ ذو الفنون ، وكتب وألف وكان أوحد زمانه صنف الكثير في أنواع من العلوم فشرح الشاطبية مطولا ولم يكمله ثم اختصره وهو الشرح المشهور أخبرني شيخنا إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ من لفظه وغيره قال حدثنىٰ شيخنا برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ تاج الدين الفزاري قال: قال لي والدي عجبت من أبي شامة كيف قلد الشافعي ....." [٤].

---

(١) ابن كثير يقصد بذلك كتاب المؤمل للرد إلىٰ أولىٰ الأمر لأبي شامة وهو مطبوع ومتداول وقد ذكره ابن الجزري ضمن مصنفاته ١/ ٣٦٥.

(٢) رويت له منامات حسنة كانت مبشرات له بما وصل إليه من العلم وما رجوه من الخير . للمزيد عن هذه المنامات التي قصّها بنفسه ينظر تراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبي شامة :٣٨.

(٣) ابن كثير البداية والنهاية ١٣ / ٢٥٠.

(٤) اب الجزري غاية النهاية ١ / ٣٦٥.

ووصفه الإمام السبكي بقوله : " الشيخ الإمام المفنن شهاب الدين المقدسي الدمشقي أبو شامة ....وأبو شامة لقب عليه ....كان أحد الأئمة تلا علىٰ السخاوي وعني بالحديث فسمع بنفسه من داود ابن ملاعب وأحمد بن عبد الله العطار والشيخ الموفق وطائفة ...وبرع في فنون العلم وقيل بلغ رتبة الاجتهاد .....ومن محاسنه كتاب البسملة الأكبر وكتاب البسملة الأصغر .... "[1].

(١) السبكي طبقات الشافعية ٨ / ١٦٥ – ١٦٨ ، والسيوطي بغية الوعاة ٢ / ٧٧.

المطلب الثاني

شيوخ أبي شامة وتلاميذه

درس الإمام أبو شامة علىٰ عددٍ كبيرٍ من الشيوخ في كلٍّ من دمشق ومصر، كما التقىٰ بعدد كبير غيرهم جالسهم وناقشهم وسمع منهم، وسمعوا منه – ويبدو أن أبا شامة كان يتخيَّر شيوخه ويصطفيهم، ولم يكن ليتتلمذ علىٰ أيِّ واحدٍ؛ فقد كانت له مقاييس ثابتة يفيء إليها في اختياره لمن يقرأ عليهم، يظهر ذلك في اختياره للإمام علم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ) خاصة : تلميذ الشاطبي (ت٥٩٠هـ) وما ذلك إلا لاشتهار تلامذة الشاطبي بالبراعة والتفوق العلمي في جميع علوم الشريعة، ولا شكَّ أن هذه الشروط والصفات التي يتطلبها أبو شامة في شيوخه كان حريصًا عليها، باحثًا عنها؛ إذ هي المطلوبة أوَّلاً وقبل كل شيء، وسنلاحظ أثناء ترجمتنا لشيوخه مقدار توافر هذه الصفات فيهم، ولا نستطيع في مثل هذا البحث أن نحصيهم عدداً، بل سنكتفي بترجمة ما وقفنا عليه من أشهر شيوخه، وتلامذته ايضا؛ لبيان منزلته من خلالهما.

وتفصيل ذلك علىٰ النحو التالي :

أولاً : أهم شيوخه :

١ – علم الدين السخاوي[(١)].

(١) ابن الجزري غاية النهاية ١/ ٣٦٥.

٢- القاسم بن عيسىٰ[١].وعنه روىٰ أبو شامة الحروف بالإسكندرية[٢].

٣- داوود بن ملاعب [٣] قال عنه السبكي : " وعني بِالْحَدِيثِ بِنَفسِهِ من دَاوُد ابْن ملاعب" [٤].

٤- ابن الخشوعي [٥].

وللإمام أبي شامة العديد من الشيوخ في مختلف فنون الحديث، والفقه، والعربية، وغيرها، ولعل هذا كان له بالغ الأثر في تنوع ثقافته[٦].

ثانيًا : أهم تلاميذه :

بعد أن تبوَّأَ أبو شامة مكانة علميَّة مرموقة في بلدته وقومه وذاع صيته في الآفاق؛ غدا محطَّ الأنظار لمن يطلب العلوم الشرعية، فقد حضر الطلاب مجالسه العلمية من كل حدب وصوب؛ بل من كل فجٍّ عميق،

---

(١) تنظر ترجمته في ابن الجزري غاية النهاية ١/ ٦٠٩ .

(٢) الذهبي معرفة القراء الكبار ١/ ٣٦٢ .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي تهذيب الكمال في أسماء الرجال – ٦ / ٥٣ – المحقق: د. بشار عواد معروف - الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م.

(٤) السبكي طبقات الشافعية ٨/ ١٦٥ .

(٥) تنظر ترجمته في الذهبي سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٢ .

(٦) لمعرفة المزيد من شيوخ أبي شامة ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١ / ٣٦٢ وما بعدها ، وغاية النهاية لابن الجزري ١/ ٣٦٥ وما بعدها .

ينهلون من كاسات العلم العذب الصافي، ولكن كل ما وقفت عليه منهم قليل[١] ، وترتيبهم كما يلي:

١- أبو عبد الله الكفري[٢] . ٢- أحمد بن مؤمن اللبان[٣] .

٣- أبو العباس الفزاري[٤] . ٤- إبراهيم فلاح السكندري[٥].

(١) لعلّ انشغال أبي شامة بالتصنيف قلّل من حلقاته وإلقائه دروس العلم ما انعكس بالطبع علىٰ قلة تلاميذه وكذا قلة من تلقىٰ عنه العلم .

(٢) تنظر ترجمته في ابن الجزري غاية النهاية ١ / ٤٨ .

(٣) تنظر ترجمته في الذهبي معرفة القراء الكبار ١ / ٤٠١ .

(٤) تنظر ترجمته في الذهبي معرفة القراء الكبار ١ / ٣٨٢.

(٥) تنظر ترجمته في ابن الجزري غاية النهاية ١ / ٥.

المطلب الثالث

مؤلفات أبي شامة، وآراء العلماء فيه

أولاً : مصنفات الإمام أبي شامة :

ألف الإمام أبو شامة – رحمه الله – مؤلفات عديدة في مختلف الفنون، ومنحه الله – عز وجل – موهبة التصنيف في جل العلوم، فبرع في: القراءات، والحديث، والفقه، والتاريخ، والنحو، كما تفوق – رحمه الله – في الشعر فكان له العديد من القصائد في مختلف المناسبات والأحداث، كما كان الشيخ أبو شامة – رحمه الله – نموذجا للعالم الربانيّ، الذي آثر الآخرة علىٰ الدنيا التي كان كثيراً ما يترك شهواتها منفرداً مع ينهل من العلم الذي كان شغوفًا به ، وفيما يلي أبرزمصنفات الإمام أبي شامة – رحمه الله – في مختلف الفنون :

١ – المرشد الوجيز إلىٰ علوم تتعلق بالكتاب العزيز .

٢ – كتاب البسملة .

٣– إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع .

وهو شرح للشاطبية وقد طبع بتحقيق إبراهيم عطوة عوض :

ويعد هذا الكتاب من أنفع الكتب في القراءات السبع؛ حيث شرح المنظومة الألفية المشهورة بـ «الشاطبية» للإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ ويعدّ من أجل التصانيف وألطفها؛ إذ امتاز عن غيره بالتصدِّي لبيان توجيه القراءات من لغة العرب، واهتمامه بقضايا الإعراب، وتفرُّده بإصلاح ما عنَّ له إصلاحه من أبيات

هذه المنظومة، كما اهتمَّ بنظم ياءات الزوائد في نهاية كل سورة من سور القرآن الكريم، كتاب مهم جدا في القراءات السبعة ويعدمن افضل الكتب في هذا العلم ويعد من أجل التصانيف وألطفها لما امتاز به من ما سبق ذكره.

٤- مفردات القراء : وهو من الكتب المفقودة لأبي شامة .

٥- شرح الحديث المقتفىٰ في مبعث النبي المصطفىٰ .

٦- ضوء الساري إلىٰ معرفة رؤية الباري.

٧- المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول - صلىٰ الله عليه وسلم - .

وللإمام أبي شامة العديد من المصنفات في مختلف علوم الحديث والفقه والتفسير والتاريخ واللغة والشعر ومتابه القرآن الكريم .

ثانيـًا : آراء العلماء في الإمام أبي شامة :

تسابق العلماء وأصحاب كتب التراجم في إبراز فضائل الإمام الجليل أبي شامة – رحمه الله – فامتدحوه جميعـًا بما هو أهل له، وأبرزوا جوانب التميز والإبداع في هذا العالم العلم، وهذه طائفة من أقوال العلماء في مناقبه – رحمه الله – :

* ـ قال عنه الإمام الذهبي – رحمه الله – :" أبو شامة الإمام الحافظ العلامة المجتهد ذو الفنون .... وتصانيفه كثيرة مفيدة، ولي مشيخة إقراء بالتربة الأشرفية ومشيخة الحديث بالدار الأشرفية وكان

مع براعته في العلوم متواضعًا تاركًا للتكلف ثقة في النقل كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة "[١].

وقال عنه في مصنف آخر :" العلامة ذو الفنون، شهاب الدين أبو القاسم المقدسي، ثم الدمشقي الشافعي المقرئ، النحوي الأصولي، صاحب التصانيف .....وكتب الكثير من العلم، وأحكم الفقه، ودرس وأفتىٰ وبرع في العربية، .....وولي مشيخة القراءة بتربة الملك الأشرف، ومشيخة دار الحديث، وكان مع فرط ذكائه وكثرة علمه، متواضعا مطرحا للتكلف، ربما ركب الحمار بين المداوير "[٢] .

* ـ وقال عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية :"

الامام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة شيخ دار الحديث الأشرفية، ومدرس الركنية، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات كثيرة، وله شرح الشاطبية، وله الرد إلىٰ الأمر الأول، وما رئي له من المنامات الحسنة. وكان ذا فنون كثيرة، أخبرني علم الدين البرزالي الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزاري، أنه كان يقول: بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد، وقد كان ينظم أشعارًا في أوقات، فمنها ما هو مستحلىٰ،

(١) الذهبي تذكرة الحفاظ ٤/ ١٦٨.

(٢) الذهبي معرفة القراء الكبار ١/ ٣٦١،٣٦٢ .

ومنها ما لا يستحلىٰ، فالله يغفر لنا وله. وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في نفسه وديانته، وعفته وأمانته ....." [١].

* ـ وقال عنه شمس القراء ابن الجزري – رحمه الله – :" الشيخ الإمام العلامة الحجة والحافظ ذو الفنون، وكتب وألف وكان أوحد زمانه صنف الكثير في أنواع من العلوم فشرح الشاطبية مطولا ولم يكمله ثم اختصره وهو الشرح المشهور أخبرني شيخنا إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ من لفظه وغيره قال حدثني شيخنا برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ تاج الدين الفزاري قال: قال لي والدي عجبت من أبي شامة كيف قلد الشافعي، قلت وكان مع كثرة علومه وفضائله متواضعا مطرح التكلف ربما ركب الحمار بين المداوير، ولي مشيخة الحديث الكبرىٰ بالأشرفية ومشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية وقصد مشيخة الإقراء الكبرىٰ بأم الصالح فلم تحصل له مع شرط واقفها "[٢].

* ـ ووصفه الإمام السبكي بقوله : " الشيخ الإمام المفنن شهاب الدين المقدسي الدمشقي أبو شامة ....وأبو شامة لقب عليه ....كان أحد الأئمة تلا علىٰ السخاوي وعني بالحديث فسمع بنفسه من داود ابن ملاعب وأحمد بن عبد الله العطار والشيخ الموفق وطائفة ...وبرع

(١) ابن كثير البداية والنهاية ١٣ / ٢٥٠.

(٢) اب الجزري غاية النهاية ١ / ٣٦٥.

في فنون العلم وقيل بلغ رتبة الاجتهاد .....ومن محاسنه كتاب البسملة الأكبر وكتاب البسملة الأصغر .... "[١] .

* ـ وتحدث عنه السيوطي فقال عند ترجمته :" وأتقن الفقه، ودرس وأفتىٰ، وبرع في العربية، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية والإقراء بالتربة الأشرفية؛ وكان متواضعا مطَّرِا للتكليف "[٢] .

(١) السبكي طبقات الشافعية ٨ / ١٦٥ – ١٦٨ .

(٢) السيوطي بغية الوعاة ٢ / ٧٧.

المطلب الرابع

مصنف إبراز المعاني لأبي شامة

يعدّ كتاب (إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع) من أفضل الكتب التي صنفت في شرح الشاطبية[1] للإمام الشاطبي – رحمه

(١) قال ابن الجزري في وصف هذه المنظومة وناظمها :" ورحل فاستوطن قاهرة مصر وأقرأ بها القرآن وبها ألف قصيدته هذه يعني: الشاطبية، وذكر أنه ابتدأ أولها بالأندلس إلىٰ قوله: "جعلت أبا جاد" ثم أكملها بالقاهرة انتهىٰ، قلت: ومن وقف علىٰ قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصًا اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم علىٰ منوالها أو قابل بينها وبين ما نظم علىٰ طريقها، ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن بل أكاد أن أقول: ولا في غير هذا الفن فإنني لا أحسب أن بلدا من بلاد الإسلام يخلو منه بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو٣ من نسخة به، وتنافس الناس فيها ورغبوا من اقتناء النسخ الصحاح بها إلىٰ غاية حتىٰ إنه كانت عندي نسخة باللامية والرائية بخط الحجيج صاحب السخاوي مجلدة فأعطيت بوزنها فضة فلم أقبل، ولقد بالغ الناس في التغالي فيها وأخذ أقوالها مسلمة واعتبار ألفاظها منطوقًا ومفهومًا حتىٰ خرجوا بذلك عن حد أن تكون لغير معصوم وتجاوز بعض الحد فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع، وأن ما عدا ذلك شاذ لا تجوز القراءة به، ومن أعجب ما اتفق للشاطبية في عصرنا هذا أن به من بينه وبين الشاطبي باتصال التلاوة والقراءة رجلين مع أن للشاطبي يوم تبييض هذه الترجمة مائتي سنة، وهذا لا أعلم أنه اتفق في عصرمن الأعصار للقراءات السبع وإن كان اتفق في بعض القراءات وقتًا ما، وما ذلك إلا لشدة اعتناء الناس بها ومن الجائز أن تبقىٰ الشاطبية باتصال السماع بهذا السند إلىٰ رأس

الله تعالىٰ – حيث جمع فيه الإمام أبو شامة مالم يجمعه غيره، وأودع كتابه هذا العديد من القضايا والمسائل المتعلقة بهذا العلم الجليل، ولعلّ نشأة الإمام أبي شامة العلمية وتنوّع ثقافته كان لها الأُثر الكبير في أن يخرج كتابه بهذا الشكل الكبير الذي أصبح فيما بعد مادة أساسية ومنهلاً يأخذ منه كل من يريد ان يشتغل بهذا العلم الجليل، وأثناء تتبعنا لنشأة الإمام أبي شامة وجدنا تعلقه منذ صغره بالقرآن الكريم وقراءاته، وكذا حرصه أن يدرس علىٰ تلميذ الإمام الشاطبي، وهو الإمام السخاوي – رحمه الله- مما كان له بالغ الأثر في شغوفه وبراعته في ذلك العلم، فضلاً عن دراسته علوم القرآن الكريم، والتفسير، والحديث، والفقه، والعربية، وغيرها من العلوم، مما ساعد بلا ريب في أن يبدع في تصنيفه هذا السفر العظيم، ويتعرّض في شرحه الأبيات لقضايا اللغة والإعراب والتوجيه والرسم والوقف والابتداء والشعر، وحتىٰ قضايا الردّ علىٰ من طعن في قراءات القرآن الكريم بأدلّة علمية تنبئ عن عالم محقّق مدقّق .

والحقّ أن الإمام أبا شامة – رحمه الله – أولىٰ شرحه الشاطبية عناية فائقة وأحاط الشرح من جميع جوانبه، وناقش قضايا القراءات المجمع عليها والمختلف فيها بطريقة علمية نابعة من ثقافة حقيقية واطّلاع

الثمانمائة، فإن من أصحاب القاضي بدر الدين بن جماعة اليوم جماعة ولا أعلم كتابًا حفظ وعرض في مجلس واحد وتسلسل بالعرض إلىٰ مصنفه كذلك إلا هو " . غاية النهاية ٢/ ٢٣.

موثّق فكان يشرح البيت من جميع جوانبه ويوليه اهتماماً فائقاً، وكأنه يريد أن تكون الصورة كاملة أمام طالب العلم، وحال لسانه يقول : " إن أردت الشرح الشامل لبيان ألفاظ البيت ومفرداته أعطيناك، وإن رغبت في شرح مفصّل لكلمات ومعاني البيت ومراد الشاطبي منه منحناك، وإن أردت توجيه القراءة وبيان أصولها اللغوية ومعانيها التفسيرية وما يدور حول اشتقاقاتها فنحن قد أودعناها في شرحنا، وإن ذهب ذهنك لأبعد من ذلك ورغبت في التعمّق لقضايا القراءات وما يدور حول طعن بعض المستشرقين وغيرهم فيها فليس لك حجة علىٰ ذلك لأن (إبراز المعاني) ليس كتاباً عادياً فقد جمع كل ذلك وأكثر".

وتسمية الإمام أبي شامة كتابه (إبراز المعاني من حرز الأماني) هي تسمية صادقة لا يشك عاقل فيها، وذلك لأن الإمام – رحمه الله – أبرز المعاني التي أرادها الشاطبي في منظومته (حرز الأماني) بل أضاف إليها أقوال السابقين للإمام الشاطبي – رحمه الله – وغيرهم، فجاء كتابه غاية في الإتقان، روعة في الفصاحة والبيان، لذا احتل علو المكان، ومكانة عالية بين الأقران، فتميز عن غيره من الشروح، بشرحه الوافي ،ومن خلال المباحث السابقة وجدنا تسارع العلماء ولهفتهم علىٰ الاستعانة بآراء إمامنا أبي شامة ونقل الكثير من قضايا القراءات التي أودعها كتابه (إبراز المعاني) فكان العمدة في شروحهم، والأساس

الذي ساروا علىٰ نهجه – رحم الله شيخنا أبي شامة وأسكنه فسيح جناته – آمين – .

المطلب الخامس
وفاة الشيخ أبي شامة – رحمه الله –

كانت وفاة الإمام أبي شامة في تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وستمائة – رحمه الله – ودفن من يومه بمقابر دار الفراديس – رحمه الله رحمة واسعة– .[1]

(١) ينظر ابن كثير البداية والنهاية ١٣ / ٢٥٠ ، والذهبي معرفة القراء الكبار ١/ ٣٦٢ ، وابن الجزري غاية النهاية ١ / ٣٦٦ .

المبحث الثاني

أساليب توجيه القراءات عند أبي شامة

مدخل:

لعلم توجيه القراءات بعض المُسمّيات الأخرىٰ غير (التوجيه) منها: معاني القراءات، وتعليل القراءات، والحجة، والاحتجاج، والعلل، وإعراب القراءات، والتخريج، وغيرها. ومع اختلاف هذه الأسماء إلا أن الغاية تبقىٰ واحدة، والمعنىٰ المراد واحد ولا يختلف، وهو: إثبات صحة القراءة وبيان معناها، فهي أسماء متعددة لمسمًّىٰ واحد، وعلم واحد، وهو علم توجيه القراءات القرآنية[1].

وليس علم توجيه القراءات لبيان حجة القراءة لتكون صحيحة من حيث اللغة، بل القراءة الثابتة حجة بنفسها، يستدل بها أهل اللغة علىٰ لغتهم[2].

وكان لتوجيه القراءات القرآنية عند الإمام أبي شامة الحظ الأوفر والنصيب الأكبر في مصنفاته، فقد اهتمّ به اهتمامًا كبيرًا، واعتنىٰ به عناية فائقة، وأعَدّ لذلك العدّة، فجمع كل ما يتعلق بالتوجيه من لغةٍ،

---

(١) ينظر: د. عبد العزيز الحربي، توجيه مشكل القراءات العشرية والفرشية: ٦٣، وينظر: المهدوي، في: شرح الهداية: ١/ ١٧-٢١ من الدراسة، وينظر: الدكتور: عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به: ١٥٥-١٥٧.

(٢) ينظر: محمد القضاة، وأحمد شكري، ومحمد منصور، مقدمات في علم القراءات: ٢٠٢.

وإعرابٍ، وقراءاتٍ متواترةٍ، وشاذةٍ، وحديثٍ نبويٍ، وشعرٍ، ونثرٍ، ولهجات العرب، وغير ذلك مما يتعلق بتوجيه القراءات القرآنية، ثم أضاف إلىٰ ذلك أقوالَ العلماء من المفسرين واللغويين وغيرهم، فنقلها، وناقشها، ووازن بينها، ورجَّح ما رآه مناسبًا له، وعَلّل ترجيحاته، وأيّدها في بعض المواطن؛ لذا جاء توجيهه القراءة ثريًّا باللغة والمعنىٰ معًا، فكان مصدرَ عناية الباحثين، ووجهتهم التي استقوا منها مادةَ بحثِهم.

وقبل الولوج إلىٰ هذه القضية عند أبي شامة أمهّد بعدة نقاط وهي :

١ـ تعريف التوجيه لغة واصطلاحاً :

التوجيه لغة: له إطلاقات عديدة منها: مستقبل كل شيء، ويطلق علىٰ الذات، ويقال: وجّهت الشيء: جعلته علىٰ جهة، ويطلق علىٰ القصد، ووَجْهُ الكلام: السبيل الذي يقصده، ووجوه القرآن: معانيه، ويُطلقُ علىٰ المذهب والطريق[1].

(١) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: (و ج هـ) ٦/ ٨٨، ٨٩، وينظر: ابن منظور، في: لسان العرب:١٣/ ٥٥٥، ٥٥٦، وينظر: الأزهري، في: معجم تهذيب اللغة: ٦/ ١٨٦. وينظر: د/ بشير أحمد دعبس، مناهج التوجيه في أصول النشر، بحث مستل من مجلة كلية القرآن الكريم، العدد ٣٠ لسنة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص: ٤٢٢.

وهو مصدر: (وَجَّه) المتعدّىٰ[١] بالتضعيف، ويأتي علىٰ معنيين:-

(أ) وَجَّهَ الشيءَ: جعله إلىٰ جِهة، ومنه: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾[٢]، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾[٣].

(ب) وَجَّه الشيءَ[٤]:بَيّن وَجْهَهُ، أو جعله ذا وَجْه، أي: حجة ودليل وبرهان، ويقال: لكلامك وَجْهٌ أي: صحة، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾[٥] أي: جَعَلَه ذا نعمة، و(نضَّر الله وجهك) أي: جعله ذا نضرة، وعلىٰ هذا المعنىٰ الأخير اشتق وأخذ المعنىٰ الاصطلاحي لعلم توجيه القراءات القرآنية.

التوجيه **اصطلاحًا**: عرّفه الزركشي بقوله: "هو فنٌّ جليل، وبه تُعرف جلالة المعاني وجزالتها"[٦].

وقيل في تعريفه أيضًا: علمٌ يُعْنىٰ بالكشف عن وجوه القراءات، وعللها، وحججها، وبيانها، وإيضاحها[١].

---

(١) ينظر: د. عبد العزيز الحربي، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرًا وإعرابًا، بحث ماجستير،١٤١٧هـ، جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين: ٦٢، ٦٣، وينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: ٦/ ٨٨، ٨٩.

(٢) سورة النحل من الآية: ٧٦.

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٤٨.

(٤) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: (و ج هـ) ٦/ ٨٨، ٨٩، والمصباح المنير (و ج هـ) ٢/ ٦٤٩.

(٥) سورة الفجر من الآية: ١٥.

(٦) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٣٩.

٢ ـ غايته :

غاية هذا العلم بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقًا للشرط المقرر للقراءة الصحيحة من (موافقة اللغة العربية ولو بوجه)، كما يهدف علم التوجيه إلىٰ ردّ الاعتراضات والانتقادات، التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسّرين علىٰ بعض وجوه القراءات(٢).

٣ ـ مستويات التوجيه، وما استعمله أبو شامة منها :

هناك العديد من مستويات التوجيه في علم القراءات القرآنية فهناك التوجيه النحوي ، والتوجيه الدلالي – توجيه القراءة من ناحية المعنىٰ – ، والتوجيه البلاغي ، وهذه المستويات الثلاثة أكثر أبو شامة – رحمه الله – من استعمالها ، وهناك التوجيه الصوتي ، والتوجيه الصرفي ،

---

(١) د/ إبراهيم الزهراني، توجيه القراءات عند الفراء من خلال كتابه معانىٰ القرآن، بحث (ماجستير)، ١٤٢٧هـ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرىٰ، ص: ١١.

ولمزيد من تعريفات التوجيه ونشأته وأنواعه ينظر: د/ محمد مصطفي علوة، معالم التوجيه والاحتجاج للقراءات القرآنية المتواترة دراسة تأصيلية، بحث (دكتوراه) في القراءات وعلومها، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م، كلية القرآن الكريم بطنطا، جامعة الأزهر:١/ ٤٨٢-٥١٤.

(٢) محمد القضاة، وأحمد شكري، ومحمد منصور، مقدمات في علم القراءات: ٢٠١.

وهذان النوعان قلّ استعمالهما عند أبي شامة – رحمه الله – ، وسيأتي بيان ذلك بأمثلته في المبحث القادم – إن شاء الله – .

٤. مصطلحات التوجيه :

لعلم توجيه القراءات بعض المصطلحات الأخرىٰ غير (التوجيه) ومنها:

أ - الاحتجاج :

وهو : لغة : الحجة : الدليل والبرهان، وقيل الحجة: ما دُفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، أو هي: الدلالة المبينة للمحجة، قال الجرجاني: الحجة: ما دل به علي صحة الدعوي[(١)]، قالوا: ما ثبت به الدعوي من حيث إفادته للبيان يسمي بينة، ومن حيث الغلبة به علي الخصم يسمي حجة، ويجوز أنهم سموا ما يحتجون به حجة كقوله تعالي ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[(٢)] فسمي الداحضة حجة.

والاحتجاج: افتعال من الحجّ وهو القصد، واحتج بالشيء: اتخذه حجة، قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحجج أي تقصد، لأن القصد لها وإليها، وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك.

---

(١) التعريفات (٨٢).

(٢) سورة الشورىٰ : من الآية (١٦).

وحج علينا: قدم علينا، وحجه يحجه حجّا: قصده، وحاجّه محاجة وحجاجًا: نازعه الحجة، وحجه يحجه حجّا: غلبه علي حجته[١].

والاحتجاج اصطلاحًا: تعددت تعريفات العلماء للاحتجاج اصطلاحًا وكلها تدور حول معني تقديم الحجة أو البرهان للوجه القرآني ومن هذه التعريفات ما يأتي:

قال الجرجاني: الحجة: ما دل به علي صحة الدعوي[٢]، والاحتجاج كما قال صاحب المعجم: إقامة الحجة[٣]، أو هو كما قال غيره: تقديم الحجة[٤].

وقالوا في تعريفه هو: بيان وجه كل قارئ فيما اختاره من قراءة، وأكثر هذه الوجوه لغوية ومنها ما ليس كذلك[٥].

---

(١) ينظر: المعاجم الآتية (حج، وحجج، وحجا، وحجو). العين، تهذيب اللغة، المحيط في اللغة، مقاييس اللغة، الصحاح، المفردات، المحكم والمحيط الأعظم، أساس البلاغة، اللسان، المصباح المنير، الكليات.

(٢) التعريفات (٨٢).

(٣) المعجم الوسيط (١٥٦).

(٤) د/ عبد الفتاح شلبي في بحث بعنوان الاحتجاج للقراءات .. بواعثه وتطوره وأصوله وثماره (٨٧).

(٥) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج (١٣).

ب- التعليل :

والتعليل لغة: العلّ والعلل: الشربة الثانية، وقيل الشرب بعد الشرب تباعًا

والعلة: السبب، وهذا علة لهذا أي سبب، وقد توضع العلة موضع العذر، فالعلة تقال لكل معتذر مقتدر.

والتعليل: سقي بعد سقي وجني الثمرة مرة بعد مرة أخري[(١)].

وهكذا تدور المادة اللغوية لعل، وعلل حول معاني المرض والحجة والسبب والعذر.

والتعليل اصطلاحًا: من المعاني اللغوية السابقة يمكن القول بأن تعليل القراءات يكاد يقارب المقصود من توجيه القراءات، فالموجه يحاول بيان علة الوجه أو ما قد يلحق به من تمريض، وقد يكون بمعني الاحتجاج، وقد يكون بيانًا لسبب الوجه القرآني ولذا قالوا في التعريف الاصطلاحي للتعليل هو:

تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر، بخلاف الاستدلال الذي يعني تقرير ثبوت الأثر لإثبات المؤثر[(٢)].

---

(١) ينظر المعاجم اللغوية الآتية (علل، عل): العين، تهذيب اللغة، المفردات، الصحاح، اللسان ... وغيرها.

(٢) ينظر: التعريفات (٨٩)، ويراجع: الكليات (٢٩٤).

ج- التأويل :

التأويل لغة: يقال: آل الشئ يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وأوّل إليه الشئ: رجَعَه، وألت عن الشئ: ارتدت، وأوّل الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره، ويقال::آلت الشئ: جمعته وأصلحته، وآل مآله يؤوله إيالة: وأوّلته إذا أصلحته وآل مآله يؤوله إيالة إذا أصلحه وساسه، وأوّلته فآل: صرفته[١] .

والتأويل اصطلاحاً: عرف المفسرون التأويل بأنه: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلي معني يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة من طريق الاستنباط[٢].

وعرفه الأصوليون بأنه: رد الظاهر إلي ما إليه مآله في دعوي المتكلم[٣]، أو هو: حمل اللفظ علي غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل يعضده[٤].

---

(١) ينظر المعاجم الآتية (آل، أول): العين، تهذيب اللغة، ، مقاييس اللغة، أساس البلاغة، اللسان ... وغيرها.

(٢) البرهان (٢/ ١٥٠)، الاتقان (٤/ ١٦٩)، ويراجع التعريفات للجرجاني (٥٠).

(٣) البرهان في أصول الفقه (١/ ٥١١).

(٤) الإحكام في أصول الأحكام (٣/ ٥٠).

د- الإعراب :

الإعراب لغة: أعرب الرجل عما في نفسه أي: أبان، من ذلك قول النبي ﷺ: «الثيب تعرب عن فيها، والبكر رضاها صمتها»[(١)]، فإعراب الكلام بيانه وإيضاح فصاحته، قال الأزهري: الإعراب والتعريب معناهما واحد: هو الإبانة، يقال: أعرب عن لسانه وعرب أي: أبان وأفصح[(٢)].

والإعراب اصطلاحاً : نص غير واحد علي أن الإعراب هو البيان والتفسير، قال السيوطي: المراد بإعرابه- إعراب القرآن -: معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن، لأنه القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها[(٣)] وقال غيره: المراد بالإعراب الإبانة والتوضيح وفهم الغريب[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٦٠) رقم (١٧٧٢٢)، وابن ماجه في سننه، كتاب: النكاح، باب: استئمار البكر والثيب (١/ ٦٠٢) رقم (١٨٧٢).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (عرب)، اللسان (عرب)، المصباح المنير (عرب)، همع الهوامه (١/ ٤٠).

(٣) الإتقان (٢/ ٣١).

(٤) القرآن وأثره في الدراسات النحوية (٢٦٣)، وينظر للمزيد: بحوث في أصول التفسير ومناهجه (١١٤).

تلكم أشهر مصطلحات علم توجيه القراءات ومع اختلاف هذه الأسماء إلا أن الغاية تبقىٰ واحدة، والمعنىٰ المراد واحد ولا يختلف، وهو: إثبات صحة القراءة وبيان معناها، فهي أسماء متعددة لمسمًّىٰ واحد، وعلم واحد، وهو علم توجيه القراءات القرآنية[(١)].

وليس علم توجيه القراءات لبيان حجة القراءة لتكون صحيحة من حيث اللغة، بل القراءة الثابتة حجة بنفسها، يستدل بها أهل اللغة علىٰ لغتهم[(٢)].

٥ـ أهمية علم التوجيه بالنسبة للقراءات :

لعلم التوجيه أهمية كبيرة وفوائد عظيمة بالنسبة لعلم القراءات القرآنية ومنها :

أ ـ إثراء معاني الآية الواحدة بقراءتها علىٰ وجوه متعددة لكل منها معنىٰ.

ب ـ التعرف علىٰ كثير من اللهجات العربية.

---

(١) ينظر: د. عبد العزيز الحربي، توجيه مشكل القراءات العشرية والفرشية: ٦٣، وينظر: المهدوي، في: شرح الهداية: ١/ ١٧-٢١ من الدراسة، وينظر: الدكتور: عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به: ١٥٥-١٥٧.

(٢) محمد القضاة، وأحمد شكري، ومحمد منصور، مقدمات في علم القراءات: ٢٠٢.

ج ـ حماية القراءات القرآنية من الطعن فيها من الناحية اللغوية.

د ـ تخصيص عام أو تقييد مطلق أو غير ذلك.

هـ ـ الثقة بصحة القراءات وموافقتها لشرط اللغة.

و ـ التعرف علىٰ أوجه متعددة من الإعجاز البلاغي للقرآن.

ويأتي الحديث عن كل هذه المعاني الجليلة المأخوذة من علم توجيه القراءات في المبحث القادم بمطالبه – إن شاء الله – وأختم هذه الفوائد بما ذكره الزركشي في هذا الشأن حيث قال : " النوع الثالث والعشرون: معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ ، وهو فن جليل ، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها ، وقد اعتنىٰ الأئمة به وأفردوا فيه كتبًا " . (١)

وأبرز – مستعينا بالله تعالىٰ- فيما يلي منهج الإمام أبي شامة – رحمه الله – في توجيه القراءات القرآنية : ـ

(١) الزركشي ، البرهان : ٣٣٩.

المطلب الأول
توجيه القراءة
بما يناسب السياق أو النظير

الإمام أبو شامة – رحمه الله – كان ذا حسٍّ قرآني فذٍّ؛ فإذا رأىٰ قراءة لقارئ من القراء وأراد أن يستدلّ لها ويوجّهها بأن لها في الآية نفسِها أو في الآية التي قبلها ما يناسبها في السياق القرآني وحينها تأتي القراءة علىٰ أسلوبٍ متّسق فعل ذلك.

كما أنه كان يوجّه القراءة أيضًا بورود نظيرٍ لها في القرآن الكريم يقوّيها، لكن ليس معنىٰ ذلك أن القراءة الأخرىٰ ضعيفة أو أقلّ منزلة من الأخرىٰ – حاشاه ذلك - وإنما يكمن استشهاده في وقوف القارئ واطّلاعه بل ربما - لفت انتباهه - أن هذه القراءة موجودة في مواضع أخرىٰ من القرآن الكريم وقد سبق ذكرها أو يأتي في موضع كذا من القرآن الكريم .

وقد أحصيت المواضع التي وجّه فيها القراءة بما يناسبها في الآية قبلها أو بعدها، وكذا المواضع التي لها نظير لها في القرآن الكريم فوجدتها بلغت تسعة وأربعين موضعًا .

فعند قول الشاطبي - رحمه الله - في (سورة البقرة): -

وَفِي أَمْ يَقُولُونَ الخِطَابُ (كَـ)ـمَا (عَـ)ـلا .·. (شَـ)ـفَا وَرَءُوفٌ قَصْرُ(صُحْبَتِهِ حَـ)ـلا[1]

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم :٤٨٧ .

قال أبو شامة في شرح البيت :" يريد قوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ [١] وجه الخطاب أن قبله: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ [٢]، وبعده : ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [٣]، ووجه الغيبة أن قبله: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ ﴾ [٤]، يكون علىٰ الالتفات "[٥].

وهنا وجّه أبو شامة – رحمه الله – قراءة الخطاب في " تقولون " بأنها مناسبة للسياق القرآني الوارد في الآية السابقة لهذه الآية وكذا جاء الخطاب في نهاية الآية عند قول الله – عز وجل – ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [٦] ليأتي الكلام علىٰ نسقٍ واحد في الخطاب، ثمّ تمّم توجيهه القراءة بأن قراءة الغيبة تحتمل أحد أمرين : إما أنها تناسب ما جاء

(١) سورة البقرة من الآية : ١٤٠.
(٢) سورة البقرة من الآية : ١٣٩.
(٣) سورة البقرة من الآية: ١٤٠.
(٤) سورة البقرة من الآية : ١٣٧.
(٥) أبو شامة إبراز المعاني : ٣٤٧. و الالتفات لون من ألوات البلاغة وعدّه ابن المعتز من البديع وعرّفه بقوله : " هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلىٰ الاخبار وعن الاخبار إلىٰ المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنىً يكون فيه إلىٰ معنىٰ آخر ، قال الله – جل ثناؤه – " حتىٰ إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة " . البديع :٥٨ ، ٥٩ .
(٦) سورة البقرة من الآية: ١٤٠.

قبلها بآيتين في قوله تعالىٰ ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ ﴾[١]، أو تكون القراءة علىٰ الأسلوب العربي المعروف بالالتفات من الخطاب إلىٰ الغيبة والعكس.

وفي موضع آخر وعند قول الشاطبي - رحمه الله - في (سورة البقرة) : -

وَفِيهَا وَفِي الأَعْرَافِ نَغْفِرْ بِنُونِهِ ∴ وَلاَ ضَمَّ وَاكْسِرْ فَاءه (حِـ)ـينَ (ظَـ)ـلَّلاَ[٢]

وجّه أبو شامة القراءة بما ناسبها في اللفظ القرآني الواقع قبلها فقال : " (وفيها) يعني في البقرة: ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾[٣]، (ولا ضم) يعني الفتح في النون فتأخذ للغير بالضم وفتح الفاء وضد النون الياء ووجه النون أن قبله: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ﴾[٤]، فهي نون العظمة"[٥] .

وهذا واضحٌ في الاستشهاد بما ناسب قراءة النون من " نغفر " بما وقع قبلها من قراءة النون في قوله " قلنا "، وقد أغفل توجيه قراءة التاء فيها لوضوح سياق الآية الدائر حول الخطاب .

---

(١) سورة البقرة من الآية : ١٣٧.

(٢) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم :٤٥٦.

(٣) سورة البقرة من الآية : ٥٨.

(٤) سورة البقرة من الآية : ٥٨.

(٥) أبو شامة إبراز المعاني : ٣٢٧.

وفي موضع ثالث وعند شرحه قول الشاطبي -رحمه الله- في (سورة العنكبوت):

وَفِي وَنَقُولُ اليَاءُ (حِصْنٌ) وَيُرْجَعُو .·. نَ (صَـ)فْوٌ وَحَرْفُ الرُّومِ (صَـ)افِيهِ (حُـ)لَّلا[1]

وجّه أبو شامة قراءة ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ بما ناسبها من الغيب الواقع قبلها فقال: "والغيب في قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [2]؛ لأن قبله: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [3]، والخطاب لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [4]، والذي في الروم: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [5]."[6]، وهو هنا كما نرىٰ في الأمثلة السابقة يوجّه القراءتين الواردتين في البيت بما ناسبها من اللفظ القرآني الواقع قبلها أو بعدها.

وفي مواضع أخرىٰ يستدل علىٰ توجيه القراءة الواردة في بيت الشاطبي بوجود نظير للقراءة في موضع آخر من القرآن الكريم

فعند قول الشاطبي -رحمه الله- في (سورة الممتحنة):

وَفِيْ تُمْسِكُوا ثِقْلٌ (حَـ)لا وَمُتِمُّ لا .·. تُنَوِّنْهُ وَاخْفِضْ نُورَهُ (عَـ)نْ (شَـ)ذًا (دَ)لا[7]

---

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم: ٩٥٥.

(٢) سورة العنكبوت من الآية: ٥٧.

(٣) سورة العنكبوت من الآية: ٥٥.

(٤) سورة العنكبوت من الآية: ٥٦.

(٥) سورة الروم من الآية: ١١.

(٦) أبو شامة إبراز المعاني: ٦٣٧.

(٧) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم: ١٠٧٠.

قال أبو شامة :" أمسك، ومسَّك من باب أنزل ونزل، ويشهد لقراءة أبي عمرو: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾[1] شددها الأكثر "[2] .

وهو هنا يستشهد لقراءة أبي عمرو بالتثقيل والمراد به تشديد السين في " تمسكوا " بأنّ هذه القراءة ورد لها نظير في موضع آخر من القرآن الكريم وهو في سورة " الأعراف في لفظ ﴿ يُمَسِّكُونَ ﴾ ، وكان قد بيّن قبلها أن قراءتي التخفيف والتشديد وردتا كثيراً علىٰ ألسنة العرب فالتشديد والتخفيف جارٍ علىٰ ألسنتهم .

المطلب الثاني

توجيه القراءات بما في حديث النبي ﷺ، أو آثار الصحابة

لا يفوت أبا شامة في بعض المواضع من القرآن الكريم عندما يوجه قراءة لبعض القراء أن يوجّهها ويستدلَّ لها بحديث من أحاديث رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم –، أو بأثر من الآثار الواردة عن بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – وهو لسعة أفقه وتنوّعه يستدل بمثل هذه الأحاديث او الآثار زيادة في الإيضاح وإثراءً للمعنىٰ وتقريباً

(١) سورة الأعراف من الآية : ١٧٠.

(٢) أبو شامة إبراز المعاني : ٧٠٠.

للقارئ من القراءة فضلاً عن أن سيد الخلق – صلىٰ الله عليه وسلم – أجراها علىٰ لسانه الشريف ونطق بها فهو موجودة في لغة العرب بل ونطق بها أفصحهم – صلىٰ الله عليه وسلم – في المصدر الثاني من التشريع وهو السنة النبوية المطهّرة .

وقد أحصيت المواضع التي استشهد بها أبو شامة – رحمه الله – بأحاديث النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – أو بالآثار الواردة عن الصحابة – رضي الله عنهم – فوجدته ذكر ذلك في شرحه (إبراز المعاني) في خمسة عشر موضعـًا [(١)]، وقد تنوّع أيضـًا في إيراده أحاديث رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فتارة يستدل بحديث أو أثر عند توجيهه القراءة، وتارة أخرىٰ يستشهد للقراءة بوجودها في أحاديث رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – بعد توجيهه لها ويستخدم لفظ: (ويشهد) .

فمن الأول :-

عند شرحه قول الشاطبي – رحمه الله – في سورة (البقرة):

وَيَطْهُرْنَ فِي الطَّاءِ السُّكُونُ وَهَاؤُهُ .:. يُضَمُّ وَخَفَّا (إِ)ذْ (سَمَاكَ)يْفَ (عُـ)ـوِّلا[(٢)]

نجد أن أبا شامة استدل بحديث من أحاديث رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – أثناء توجيهه القراءة، فقال: " والقراءة الأخرىٰ ظاهرة في إرادة الاغتسال، وأصلها يتطهرن فأدغمت التاء في الطاء؛ أي: حتىٰ

(١) للمزيد من المواضع ينظر إبراز المعاني صفحات : ٦٩٠ ، ٧١٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٤١٠ ، ٤٥٠ .

(٢) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٥١٠ .

يغتسلن؛ فتعين حمل القراءة الأخرىٰ علىٰ هذا المعنىٰ أيضا، وفي الحديث الصحيح عن أم سلمة أن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- قال لها: "إنما يكفيك أن تحثي علىٰ رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضي عليك الماء فتطهرين"، وفي رواية: "فإذا أنت قد طهرت" أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح [(١)]، فيكون من قوله: حتىٰ يطهرن بهذا المعنىٰ، أو تنزل القراءتان منزلة اجتماعهما، فكأنه قيل: حتىٰ يطهرن ويتطهرن؛ أي: حتىٰ يجتمع الأمران، وهما انقطاع الدم والاغتسال، فأحدهما لا يكفي بدليل ما لو اغتسلت قبل انقطاع الدم، فإن ذلك لا يبيح الوطء، فكذا إذا انقطع الدم ولم تغتسل والله أعلم "[(٢)] .

وقد اتّضح مما سبق كيف أن أبا شامة وجه قراءتي التخفيف والتشديد في " يطهرن " بالرواية الواردة عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – وبيّن أن القراءتين كأنهما اجتمعتا في المعنىٰ، فقراءة " يطْهُرن " بالتخفيف تعطىٰ معنىٰ انقطاع دم المحيض عند النساء،

---

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه ١ / ٢٥٩ – ح رقم (٣٣٣) كتاب الحيض – باب حكم ضفائر المغتسلة - ، وأبو داوود في سننه ١ / ٦٥ – ح رقم (٢٥١) – كتاب الطهارة – باب في المرأة هل تنقض شعرها عند الغسل ، والترمذي في سننه ١/ ١٧٤ – ح رقم (١٠٤) – أبواب الطهارة – باب ما جاء في الغسل من الجنابة .

(٢) أبو شامة إبراز المعاني : ٣٦٠ ، ٣٦١.

وقراءة " يطَّهَّرن " بالتشديد تعطىٰ معنىٰ الاغتسال وكلاهما وردا في الروايتين عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فقوله في الرواية الأولىٰ " ثم تفيضي عليه الماء فتطهرين "متناسقة مع قراءة التشديد التىٰ أصلها " يتطهرن " بالتاء التي أدغمت في الطاء، وقوله – صلىٰ الله عليه وسلم – في الرواية الثانية "فإذا أنت قد طهرت" بعدم وجود تاء قبل الطاء هي متّسقة مع قراءة التخفيف " يطْهُرن "، ولقد أصاب أبو شامة – رحمه الله – عندما استشهد بهاتين الروايتين الواردتين عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – وأدرك بثاقب نظره التقريب بين القراءتين في المعنىٰ حتىٰ خرج التوجيه بالصورة التي تنبئ عن ثاقب نظره وحسن بصيرته .

ومن الثاني :توجيهه القراءة بما في آثار الصحابة :-

من ذلك ما ذكره عند قول الشاطبي –رحمه الله– في (سورة يوسف عليه السلام) :

وَثَانِيَ نُنْجِ احْذِفْ وَشَدِّدْ وَحَرِّكَنْ ∴ (كَ)ـذَا (نَ)ـلْ وَخَفِّفْ (كُ)ـذِّبُوا (ثَ)ـابِتًا تَلا [1]

حيث استشهد أبو شامة –رحمه الله– بحديث رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – أثناء توجيهه القراءة المرادة، فقال: " يريد حذف النون الثانية، وتشديد الجيم، وتحريك الياء بالفتح؛ فيصير فعلا ماضيا لم يسم فاعله، من أنجىٰ، والقراءة الأخرىٰ علىٰ أنه فعل مضارع من

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٧٨٤.

أنجىٰ، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ﴾[1]، فالنون الأولىٰ حرف المضارعة، والثانية من أصل الفعل، فالمحذوف في قراءة التشديد هي الأولىٰ حقيقة؛ لأن الفعل فيها ماضٍ، ولكن الناظم أراد حذف الثاني صورة، لا حقيقة، وكانت هذه العبارة أخصر؛ لبقاء النون الأولىٰ مضمومة، فلو كان نص علىٰ حذف الأولىٰ لاحتاج إلىٰ أن يقول: وضم الثانية، ولولا الاحتياج إلىٰ هذا لأمكن أن يقال: أراد الثاني من ﴿فننجي﴾؛ لأن لفظ القرآن كذلك، والثاني من ﴿فننجي﴾ هي النون الأولىٰ، وكان يستقيم له أن يقول: وثاني فننجي احذف. ولكنه عدل إلىٰ تلك العبارة لما ذكرناه، والنون في قوله: وحركن نون التأكيد الخفيفة، التي تبدل ألفا في الوقف، وقوله: كذا نل دعاء للمخاطب بالنجاة، وأما: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾[2].

فخفف الكوفيون الذال، وثابتا: حال من التخفيف، وتلا بمعنىٰ: تبع ما قبله: من القراءات الثابتة، وقيل: أراد تلا بالمد؛ أي: ذمة. فالتشديد وجهه ظاهر، هو من التكذيب، ويكون ظنوا بمعنىٰ تيقنوا، وجوز أبو علي: أن يكون بمعنىٰ حسبوا، والتكذيب من الكافر كان مقطوعا به، فلا وجه للحسبان علىٰ هذا إلا ما سنذكره من تفسير صحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أما قراءة التخفيف فمن قولهم: كذبته الحديث. أي:

(١) سورة يوسف من الآية : ١١٠.

(٢) سورة يوسف من الآية : ١١٠.

لم أصدقه فيه، ومنه: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [1] فالمفعول الثاني في الآيتين محذوف، ثم في تأويل هذه القراءة وجوه أربعة: اثنان علىٰ تقدير أن يكون الضمير في: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ﴾ للرسل، واثنان علىٰ تقدير أن يكون الضمير للمرسل إليهم، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [2]، ولفظ الرسل أيضا: دالّ علىٰ مرسل إليهم فإن عاد الضمير علىٰ المرسل، وهو الظاهر، لجري الضمير علىٰ الظاهر قبله، فله وجهان: أحدهما: وظن الرسل أن أنفسهم كذبتهم حين حدثتهم بالنصر، أو كذبهم رجاؤهم كذلك، وانتظارهم له من غير أن يكون الله -تعالىٰ- وعدهم به، ولهذا يقال: رجا صادق ورجا كاذب. وقوله بعد ذلك: جاءهم نصرنا؛ أي: جاءهم بغتة، من غير موعد. والوجه الثاني منقول عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: وظن من أعطاهم الرضىٰ في العلانية، وأن يكذبهم في السريرة؛ وذلك لطول البلاء عليهم؛ أي: علىٰ الأتباع، وقد قيل: في قراءة التشديد نحوٌ من هذا، روي عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "لم يزل البلاء بالأنبياء -صلوات الله عليهم- حتىٰ خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين كذبوهم"، وفي صحيح البخاري عن عائشة في قراءة التشديد: قالت: "هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوا، وطال عليهم

(١) سورة التوبة من الآية : ٩٠.

(٢) سورة يوسف من الآية : ١٠٩.

البلاء، واستأخر عنهم النصر"[1]، حتىٰ إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك، فاتحد علىٰ ذلك معنىٰ القراءتين، أما إن كان الضمير في: ﴿وظنوا أنهم﴾ للمرسَل إليهم فلتأويله وجهان؛ أحدهما: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر، والثاني: وظن المرسل إليهم أنهم قد كذبوا من جهة الرسل فيما أخبروا به من أنهم ينصرون عليهم، وهذا قول يحكىٰ عن سعيد بن جبير -رضي الله عنه- سئل عن ذلك، فقال: نعم حتىٰ إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم، فقال الضحاك بن مزاحم،

---

(١) ينظر صحيح البخاري ٤ / ١٥٠ -ح رقم (٣٣٨٩) - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} ، ونص الحديث : " عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتِ قَوْلَهُ: (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) أَوْ كُذِبُوا؟ قَالَتْ: «بَلْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ» [ص:١٥١]، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ، وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ، فَقَالَتْ: «يَا عُرَيَّةُ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ»، قُلْتُ: فَلَعَلَّهَا أَوْ كُذِبُوا، قَالَتْ: " مَعَاذَ اللهِ، لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا، وَأَمَّا هَذِهِ الآيَةُ، قَالَتْ: هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ، وَطَالَ عَلَيْهِمُ البَلاَءُ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَتْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ، جَاءَهُمْ نَصْرُ اللهِ " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: " {اسْتَيْأَسُوا} [يوسف: ٨٠] اسْتَفْعَلُوا، مِنْ يَئِسْتُ مِنْهُ مِنْ يُوسُفَ، {لاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ} [يوسف: ٨٧] مَعْنَاهُ : الرَّجَاءُ ".

وكان حاضرًا: لو رحلت في هذه إلىٰ اليمن كان قليلًا. [١] قال أبو علي: وإن ذهب ذاهب إلىٰ أن المعنىٰ: ظن الرسل أن الذي وعد الله أممهم علىٰ لسانهم قد كذبوا فيه قد أتىٰ عظيما لا يجوز أن ينسب مثله إلىٰ الأنبياء، ولا إلىٰ صالحي عباد الله. قال: وكذلك من زعم أن ابن عباس ذهب إلىٰ أن الرسل قد ضعفوا وظنوا أنهم قد أخلفوا؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، ولا مبدل لكلمات الله. [٢] قلت: وإنما قال ابن عباس ما تقدم ذكره، فخفي معناه علىٰ من عبر بهذه العبارة. والله أعلم " [٣] .

والشاهد من كلامه الذي أطنب فيه هذه المرة نظراً لما في القراءتين من معانٍ جليلة وفوائدَ عظيمة : أنه استشهد بقراءة التشديد في لفظ " كُذِّبوا " بالتفسير الوارد لها عن أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وأنّ المراد بهم علىٰ قراءة التشديد أتباع الرسل، وكيف أن هذا التفسير الوارد عن أمّ المؤمنين – رضي الله عنها – جامعٌ لقراءتي التشديد والتخفيف وأنّ تأويل قولها يعطي معنىٰ ما ذكره أبو شامة عند قوله :" حتىٰ إذا استيأس الرسل ممن كذّبهم- وتلكم قراءة التشديد - من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كَذَبُوهم – علىٰ قراءة التخفيف –

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٣٠٠ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٢٦.
(٢) أبو علي الفارسي الحجة للقراء السبعة ٤/ ٤٣٤.
(٣) أبو شامة إبراز المعاني : ٥٣٨ ، ٥٣٩.

جاءهم نصر الله عند ذلك، فاتحد علىٰ ذلك معنىٰ القراءتين "[1]

اختصار كلام أبي شامة لنصل لمحل الشاهد (فعلت)

والشاهد من كلامه الذي أطنب فيه هذه المرة نظراً لما في القراءتين من معانٍ جليلة وفوائدَ عظيمة : أنه استشهد بقراءة التشديد في لفظ " كُذّبوا " بالتفسير الوارد لها عن أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وأنّ المراد بهم علىٰ قراءة التشديد أتباع الرسل ، وكيف أن هذا التفسير الوارد عن أمّ المؤمنين – رضي الله عنها – جامعٌ لقراءتي التشديد والتخفيف وأنّ تأويل قولها يعطي معنىٰ ما ذكره أبو شامة عند قوله :" حتىٰ إذا استيأس الرسل ممن كذّبهم- وتلكم قراءة التشديد – من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كَذَبُوهم – علىٰ قراءة التخفيف – جاءهم نصر الله عند ذلك، فاتحد علىٰ ذلك معنىٰ القراءتين " وهذا أيضـًا يدلّ سعة اطّلاع هذا العالم الجليل ودقتة وروعة أسلوبه وجمعه بين القراءتين بأسلوب المدقّق المحقّق .

(١) أبو شامة إبراز المعاني : ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، وينظر تفسير الطبري ١٦ / ٣٠٠ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٢٦، والحجة للقراء السبعة للفارسي ٤/ ٤٣٤.

ومن الأمثلة الدالة علىٰ استشهاده بحديث رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – بعد توجيهه القراءة : عند قول الشاطبي –رحمه الله– في (سورة الطور) :

رِضًا يَصْعَقُونَ اضْمُمْهُ(كَـ)ـمْ(نَـ)ـصَّ وَالْمُسَيْـ.ـطِرُونَ(لِـ)ـسانٌ(عَـ)ـابَ بِالْخُلْفِ(زُ)مَّلا[1]

عند شرح أبي شامة – رحمه الله – القراءات الواردة في البيت وبعد أن وجّه القراءات الواردة في لفظ ﴿ يُصْعَقُونَ ﴾ [2]، أردف توجيهها بشاهد من أحاديث رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فقال: "اضمم ياءه؛ فيبقىٰ فعلا لم يسم فاعله من أصعقهم، فيكون مثل يكرمون، وقيل: يقال: صعقهم فيكون مثل يضربون، ومن فتح الياء فهو مضارع صعق اللازم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [3]، وكلتا الآيتين إشارة إلىٰ صعقة تقع يوم القيامة، شهد ذلك ما في صحيح البخاري من قول النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – : "فإن الناس يوم القيامة يَصْعَقُونَ [4]".

---

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ١٠٤٨.

(٢) سورة الطور من الآية : ٤٥.

(٣) سورة الزمر من الآية : ٦٨.

(٤) أبو شامة إبراز المعاني : ٦٩٠.ونص الحديث في صحيح البخاري ٩/ ١٣٩ –ح رقم (٧٤٧٢) – كتاب التوحيد – باب (فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ}) : "عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ،

وهو هنا في إيراده القراءتين وتوجيه قراءة " يَصْعَقُونَ " المبني للفاعل أورد شاهدين للقراءة : الأول : من القرآن الكريم ووقوعها في سورة الزمر وهو قوله تعالىٰ : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[1]، والثاني : ما جاء علىٰ لسان أفصح العرب – صلىٰ الله عليه وسلم – من قوله "فإن الناس يوم القيامة يَصْعَقُونَ " وقد ذكرهما في معرض حديثه عن قراءة فتح الياء والعين .

فَقَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا عَلَىٰ العَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ اليَهُودِيَّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ المُسْلِمِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَىٰ اللهُ».

(١) سورة الزمر من الآية : ٦٨.

المطلب الثالث

توجيه القراءات بما في كلام العرب

عشق أبي شامة – رحمه الله – للغة العربية جعله شغوفًا بتوجيه قراءات عديدة من ناحية اللغة وامتلأ شرحه الشاطبية (إبراز المعاني) بالعديد من أشعار العرب ونثرهم، وهو في هذا الأمر يريد أن يثري القراءة لغويًا ويؤصّلها عربيًا ليعلم القارئ والمطّلع أن لهذه القراءة جذوراً لغوية وردت علىٰ ألسنة قبائل العرب .

ومن أمثلة استشهاده بالشعر : –

المثال الأول:

عند قول الشاطبي –رحمه الله– في(سورة آل عمران) :

مَعَ الكَهْفِ وَالإِسْرَاءِ يَبْشُرُ (كَـ)ـمْ (سَمَا) .: (نَـ)ـعَمْ ضُمَّ حَرِّكْ وَاكْسِرِالضَّمَّ أَثْقَلا[1]

عند شرح أبي شامة – رحمه الله – لبيت الشاطبي وأثناء توجيهه القراءة استدل عليها ببيت من الشعر فقال:" لفظ يبشر هنا وفي سورتي الإسراء والكهف، أما في آل عمران فموضعان: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ ﴾[2] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ﴾[3]، وفي أول الإسراء: ﴿وَيُبَشِّرُ

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٥٥٥.

(٢) سورة آل عمران من الآية : ٣٩.

(٣) سورة آل عمران من الآية : ٤٥.

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١]، والكهف: ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢]، الخلاف في هذا الفعل المضارع في هذه الأربعة: هل هو مضارع (فَعَل) بتخفيف العين كخرج، أو مضارع (فعَّل) بتشديدها، كسوَّل، وهما لغتان، إلا أن المشدد مجمع عليه في القرآن في الفعل الماضي والأمر: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا ﴾ [٣]، ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٤]، فهذا مما يقوي التشديد في المضارع، وقال الشاعر:

بشَّرت عيالي إذ رأيت صحيفة[٥]

وأنشد أبو علي:

فأعنهم وأبْشِر بما بشِّروا به[١]

---

(١) سورة الإسراء من الآية : ٩.

(٢) سورة الكهف من الآية : ٢.

(٣) سورة الصافات من الآية : ١١٢.

(٤) سورة لقمان من الآية : ٧ .

(٥) لم أقف علىٰ قائله ، وينظر البيت : غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفىٰ: ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٧هـ، ٢/ ٢٣٣. وينظر: الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفىٰ ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، الناشر: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩م، ١/ ١٧٩.

وحكىٰ لغة ثالثة: أبشر يُبْشر، كأكرم يكرم، فالبشر والإبشار والتبشير: ثلاث لغات فيه، ويقال: بشر بكسر الشين وأبشر، كأدبر إذا سر وفرح، وأنشد الجوهري بيت أبي عليّ: [٢] بفتح الشين في الأمر، وكسرها في الماضي، وأبشر بالهمز مطاوع وبشر، ومنه قوله تعالىٰ: چ ٹ ٹ ڤ چ[٣]. وكان المعنىٰ - والله أعلم-: بشروا أنفسكم بها ... "[٤].

وقد لوحظ هنا استدلاله ببيتين من الشعر علىٰ قراءتي التشديد والتخفيف في " يبشر " وكأنه يريد أن يبرز ثبوت عربية القراءتين وأن

---

(١) هذا عجز بيت، من الكامل، لعبد قيس بن خفاف البرجمي وهو من قصيدة له في المفضليات، وروايته: "وأيسر بما يسروا"، وينسب لعطية بن زيد، وهو شاعر جاهلي، وعجز البيت :

وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكِ فانْزل

ينظر: معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفىٰ: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، ٢/ ٢٣١، وينظر: شرح ديوان المتنبي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفىٰ: ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفىٰ السقا/ إبراهيم الأبياري/ عبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ٣/ ١٨٥.

(٢) الجوهري الصحاح ٢/ ٥٩٠.

(٣) سورة فصلت من الآية : ٣٠.

(٤) أبو شامة إبراز المعاني : ٣٨٧ ، ٣٨٨.

لهما جذوراً عند العرب، وليس المراد بعربيتهما التشكيك في ذلك ولكن مراده جريان التشديد والتخفيف كثيراً علىٰ الألسنة العربية .

والبيت الثاني كانت له مزيّته الخاصّة لأن أبا شامة – رحمه الله – أراد أن يجمع بين لغتي التشديد والتخفيف في آنٍ وقد فعل ذلك في شطر من البيت، وهو أيضـًا بهذا يوضح للقارئ أن لهجتي التخفيف والتشديد الواردتين في كلمة " يبشر " كثيراً ما نطق بها العرب في أشعارهم .

المثال الثاني:

عند قول الشاطبي – رحمه الله – في (سورة سبأ) :

وَفِي الرِّيحُ رَفْعٌ (صَـ)ـحَّ مِنْسَأَتَهْ سُكُو .ـنُ هَمْزَتِهِ (مَـ)ـاضٍ وَأَبْدِلْهُ (إِ)ذْ (حَـ)ـلا[1]

وهو هنا يستدلّ ويوجّه قراءة ويثبت أنها مسموعة عند العرب حتىٰ لا يتهّم أحد القراءة أنها غريبة فأراد أن يثبت وجودها علىٰ ألسنة القبائل العربية، وذلك عند حديثه عن القراءات الموجودة في كلمة ﴿مِنْسَأَتَهْ ﴾[2]حيث قال: " يريد: ﴿ وَلِسُلَيْمَنَ الريح ﴾ [3] علىٰ

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٩٧٧.

(٢) سورة الأنبياء من الآية :٨١ .

(٣) سورة الأنبياء من الآية :٨١ .

الابتداء، ولسليمان خبره، كما يقول: لزيد المال، والنصب علىٰ إضمار: (وسخرنا لسليمان الريح) عطفا علىٰ معنىٰ: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾[1]؛ لأن ذلك تسخير لداود -عليه السلام-، والمنسأة العصا العظيمة، التي تكون مع الراعي، علىٰ وزن محبرة، وأصلها الهمز؛ لأنها من نسأت البعير: زجرته وسقته وطردته، فهي اسم آلة من ذلك، كالمقدحة والمجرفة، فقرأتها الجماعة كذلك علىٰ الأصل، وأبدل الهمزة ألفا نافع وأبو عمرو، والهمز المتحرك لا يبدل حرف مد إلا سماعا، وهذا مسموع؛ قال الشاعر:

إذا دَبَبْتَ علىٰ المِنساةِ من كبر[2]

وأسكن ابن ذكوان الهمز تخفيفا، وهو عند النحاة ضعيف[1]؛ فإنه يلزم منه أن يوجد ساكن غير الألف قبل هاء التأنيث، وهذا لا يوجد،

---

(١) سورة سبأ من الآية : ١٤.

(٢) شطر بيت من البسيط، والشطر الثاني:
فَقَدْ تَباعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ

ولم أقف علىٰ قائل البيت، ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيد ٢ / ١٤٥ ، واللسان ١/ ١٦٩ (دبب) ، والبيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفىٰ: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، ٣/ ٢٢، وينظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الخامسة، ص١٥٢.

وقال بعضهم: يمكن أن تكون القراءة بها بين بين، وهو القياس في تخفيف هذه الهمزة، لكن الراوي لم يضبط، وقال صاحب التيسير: ابن ذكوان بهمزة ساكنة، ومثله قد يجيء في الشعر لإقامة الوزن، وأنشد الأخفش الدمشقي[٢] :

صَرِيعُ خَمْرٍ قَامَ مِنْ وَكْأَتِهِ ∴ كَقَوْمَةِ الشَّيْخِ إِلَىٰ مِنْسأَتِهِ[٣]

فقوله: ماضٍ. إشارة إلىٰ جوازه؛ أي: قد مضىٰ حكمه، والهاء في أبدله للهمز؛ أي: أبدل ذلك الهمز الساكن إذ خلا إبداله. والله أعلم[٤]".

المتأمل في حديث أبي شامة – رحمه الله – عن القراءات الموجودة في لفظ " منسأته " يجد أنه أراد أن يؤصّل للكلمة ويذكر جذورها اللغوية وورودها علىٰ ألسنة العرب فبدأ الكلام عن القراءة الأولىٰ وبيّن

---

(١) أبو شامة لا يعني في كلامه هذا أنه تابع للنحاة في تضعيفهم القراءة بسكون الهمز وإنما هو ناقل آراءهم فقط وتلك عادته، وليس أدل علىٰ ذلك من انتصاره لقراءة ابن ذكوان بأنها وردت في أشعار العرب وقد اتبع في ذلك نهج شيخه السخاوي . ينظر فتح الوصيد ٤/ ١١٩١.

(٢) الداني التيسير : ١٨٠.

(٣) بيت من الرجز، لم أقف علىٰ قائله، ينظر: جامع البيان في القراءات السبع، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفىٰ: ٤٤٤هـ)، الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ٤/ ١٥٠٢، والنشر ٢/ ٣٥٠ .

(٤) أبو شامة إبراز المعاني : ٦٥١ ، ٦٥٢.

أن الأصل في الكلمة هو الهمز واستدلّ على ذلك بما ورد عن العرب من قولهم : نسأت البعير، ثم ذكر أنها قراءة الجماعة من القراء، وأتبع ذلك الحديث عن القراءة الثانية وهي بدون همز (منساته) وهي قراءة متواترة صحيحة إلا أنها لم ترد إلا سماعًا عن العرب واستشهد لها ببيت من الشعر، ثم أردف القراءتين بقراة ثالثة بالهمز لكن ساكنًا وذكر أن هذا الأمر ضعيفٌ عند النحاة لغويًا ويبدو أن أبا شامة – رحمه الله – أراد أن ينتصر للقراءة الثابتة عن ابن ذكون فكان ردّه أن القراءة بسكون الهمز ثابتة عن العرب وقد وردت في أشعارهم واستشهد بما ذكره أبو عمرو الداني في كتابه التيسير من أن الأخفش الدمشقي القارئ [1]أنشد بيتًا جاءت فيه كلمة " منسأْته " ساكنة الهمز .

المثال الثالث:

عند قول الشاطبي –رحمه الله– في (سورة المعارج) :

وَسَالَ بِهَمْزٍ(غُـ)ـصْنُ (دَ)انٍ وَغَيْرُهُمْ .: مِنَ الْهَمْزِأَو مِنْ وَاوٍ اوْ يَاءٍابْدَلا[2]

(١) هو : هارون بن موسىٰ بن شريك أبو عبد الله التغلبي الأخفش الدمشقي، مقرئ مصدر ثقة نحوي شيخ القرّاء بدمشق، يعرف بأخفش باب الجابية، أخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابن ذكوان وأخذ الحروف عن هشام روىٰ عنه أبو القاسم الطبراني ورأىٰ أبا عبيد بدمشق وسأله مسألة في اللغة، قال الذهبي: وكان ثقة معمرًا، وقال أبو علي الأصبهاني: كان من أهل الفضل توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين. غاية النهاية لابن الجزري ٢/ ٣٤٧.

(٢) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ١٠٨١ .

يوجّه أبو شامة – رحمه الله –القراءتين الواردتين في كلمة (سأل) ويذكر أصلها ثم يبين أن القراءة فيها بدون همز وإن كان سماعيًا إلا أنه جاء عن شاعر رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – فقال: " يعني: همز: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [(١)] جعله لظهور أمره، كغصن ثمر دان من يد من يجنيه، ونافع وابن عامر قرآ بالألف من غير همز، وتلك الألف تحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون بدلا من الهمز، وهو الظاهر، وهو من البدل السماعي قال حسان:

سَالَتْ هُذَيْلٌ رسولَ اللهِ فاحِشةً .·. ضَلَّتْ هُذَيْل بِمَا قَالَتْ وَلم تُصِبِ[(٢)]

فيكون بمعنىٰ قراءة الهمز، الوجه الثاني: أن تكون الألف منقلبة عن واو فيكون من سأل يسأل وأصله سول كخول قال أبو زيد: "سمعت من يقول: هما يتساولان". وقال المبرد: "يقال: سلت أسال، مثل: خفت أخاف، وهما يتساولان"[(٣)]. وقال الزجاج: "يقال: سألت

---

(١) سورة المعارج من الآية : ١.

(٢) بيت من البسيط، لحسان بن ثابت الانصاري – رضىٰ الله عنه– ينظر: ديوان حسان، : ٦٧، وينظر: المقتضب، لمحمد بن يزيد، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفىٰ: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ١/ ١٦٧، وينظر: شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفىٰ: ٣٦٨ هـ)، تحقيق أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠٨م، ١/ ٢٢٧.

(٣) المبرد المقتضب : ١٦٧.

أسأل، وسلت أسال، والرجلان يتساولان، ويتساءلان بمعنىٰ واحد"[١].

والوجه الثالث: أن تكون الألف منقلبة عن ياء من سال يسيل؛ أي: سال عليهم واد يهلكهم، روىٰ ذلك عن ابن عباس؛ فهو من باب باع يبيع "[٢].

الإمام أبو شامة رحمه الله – هنا وعند ذكره قراءة نافع وابن عامر بدون همز في كلمة (سأل) وأن هذه القراءة تحتمل أوجهًا ثلاثة نجد أنه استشهد لوجه انقلابها عن الهمز بما ورد عن الصحابي الجليل – حسان بن ثابت – وهو وإن كان وجهًا سماعيًا إلا أنه واردٌ وثابتٌ واستعملته العرب في شعرها .

(١) الزجاج معاني القرآن وإعرابه : ١٩٢.

(٢) أبو شامة إبراز المعاني : ٧٠٦ .

المطلب الرابع
توجيه القراءات على أنها لغة

لم يغفل أبو شامة – رحمه الله – أبداً أن يوجّه القراءة بكونها موافقة للغة أحد القبائل العربية، وهو في هذا الشأن لا يقصد أبداً بيان عربية القراءة وفصاحتها - حاشاه ذلك – فالقرآن الكيرم كلّه علىٰ أعلىٰ الدرجات من الفصاحة والبيان واللغة، وإنما يقصد من توجيهه هذا تقريب القراءة لدىٰ القارئ وبيان أنها وافقت إحدىٰ اللغات الموجودة علىٰ ألسنة القبائل العربية التي نزل القرآن الكريم علىٰ أفصحها، لكنّه تارة يصرّح باسم القبيلة التي توافق القراءة لهجتَها، وتارة أخرىٰ لا يصرّح بذلك، كما أنه استخدم هذا النوع من التوجيه في قسمي الأصول والفرش علىٰ السواء .

وقد أحصيت مواضعَ توجيه أبي شامة – رحمه الله – القراءة بكونها متوافقة مع لهجات أحد القبائل العربية فوجدته فعل ذلك في ثلاثة وعشرين بيتًا، وأورد بعض الأمثلة الدالة علىٰ ذلك :

فمن أمثلة توجيهه القراءة بكونها إحدىٰ لغات القبائل العربية في أصول القراءات :-

* ـ في بداية باب (الفتح والإمالة) وفي أثناء تقديمه الباب ذكر أن الفتح والإمالة لغتان من لغات العرب، فقال : " والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان علىٰ ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن

بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد، من تميم وقيس وأسد " [١].

وأبو شامة وإن كان ذكر هذا الكلام نقلاً عن الإمام الداني – رحمه الله – لكنّه يعدّ توجيهاً لقراءتي الفتح والإمالة، ويلاحظ هنا تصريحه بأسماء أشهر القبائل العربية الناطقة بالفتح والإمالة .

وقد يكتفي أبو شامة – رحمه الله – بذكر لغة واحدة كما فعل عند شرحه قول الشاطبي–رحمه الله– في (باب الفتح والإمالة وبين اللفظين) :

وَفِي الْكَافِرُونَ عَابِدُونَ وَعَابِدٌ ∴ وَخُلْفُهُمْ فِي النَّاسِ فِي الْجَرِّ (حُـ)صِّلا[٢]

ذكر أبو شامة – رحمه الله – وجه الخلاف في إمالة لفظ " الناس " المجرور حيث وقع في القرآن الكريم لأبي عمرو البصري بأنه يرجع لأحد أمرين : إما لكسر السين في كلمة (الناسِ) أو لأن الإمالة هي لغة أهل الحجاز فقال: " : وخلفهم. أي: خلف الناقلين من أهل الأداء في إمالة لفظ الناس إذا كان مجرورا، نحو جميع الذي في سورة الناس، فروي عن أبي عمرو الوجهان، واختار الداني الإمالة، في كتاب الإمالة، ووجهها كسرة السين بعد الألف، وقيل إن ذلك لغة أهل الحجاز، قال

(١) أبو شامة إبراز المعاني : ٢٠٤.

(٢) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٣٣١.

الشيخ [١]: "وكان شيخنا يعني الشاطبي -رحمه الله- يُقرئ بالإمالة يعني لأبي عمرو من طريق الدوري، وبالفتح من طريق السوسي، وهو مسطور في كتب الأئمة كذلك"[٢]. قلت: وكذلك أقرأنا شيخنا أبو الحسن، ولم يذكر أبو الحسن بن غلبون غيره "[٣] .

وفي مواضع أخرىٰ لا يصرّح أصلاً بإسم القبيلة كما فعل في باب (سورة أمّ القرآن) عند قول الشاطبي – رحمه الله – :

وَصِلْ ضَمَّ مِيمِ الْجَمْعِ قَبْلَ مُحَرَّكٍ .·. (دِ)رَاكًا وَقَالُونٌ بِتَخْيِيرِهِ جَلا[٤]

حيث بيّن أن صلة ميم الجمع وإسكانها لغتان فصيحتان فقال :" نبّه علىٰ أن أصل ميم الجمع أن تكون مضمومة، والمراد بوصل ضمها إشباعه فيتولد منه واو، وذلك كقولهم في أنتمْ ومنهمْ: أنتمو ومنهمو فيكون زيادة الجمع علىٰ حد زيادة التثنية هذه بواو وهذه بألف "فأنتمو وأنتما" كالزيدون والزيدان وقاما وقاموا وكلاهما لغة فصيحة، وقد كثر مجيئها في الشعر وغيره " [٥].

ومن توجيهه القراءة بكونها إحدىٰ لهجات القبائل العربية في قسم فرش الحروف:

---

(١) يعني به السخاوي .

(٢) السخاوي فتح الوصيد ١/ ٤٦٥.

(٣) أبو شامة إبراز المعاني : ٢٣٧.

(٤) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ١١١.

(٥) أبو شامة إبراز المعاني : ٧٣.

عند قول الشاطبي- رحمه الله- في (سورة البقرة):

وَفِي رُبْوَةٍ فِي المُؤْمِنِينِ وَهُنا .: عَلَىٰ فَتْحِ ضَمِّ الراءِ (نَـ)ـبِّهْتُ (كُـ)ـفِّلا[1]

اقتصر أبو شامة – رحمه الله – في شرحه البيت على توجيه فتح الراء وضمها في كلمة " ربوة " بأنهما لغتان فقال: "يريد قوله: ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ ﴾[2]، ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾[3]، والفتح والضم في الراء لغتان، ويقال أيضا: بكسر الراء "[4].

وقد لوحظ عدم تصريحه بأسماء القبائل الناطقة بالفتح أو الضم .

وقد يستخدم في توجيهه القراءة مع ذكر اللغة شرحًا ميسّراً لكلتا اللغتين كما فعل عند قول الشاطبي -رحمه الله- في (سورة الكهف):

وَقُلْ مِرْفَقًا فَتْحٌ مَعَ الكَسْرِ (عَمَّـ)ـهُ .: وَتَزْوَرُّ لِلشَّامِي كَتَحْمَرُّ وُصِّلا[5]

حيث قال: "أي: عم مرفقا فتح في الميم مع الكسر في الفاء والباقون بعكس ذلك: كسروا الميم وفتحوا الفاء، وهما لغتان في مرفق اليد وفيما يرتفق به وقيل: هما لغتان فيما يرتفق به، أما مرفق اليد فبكسر الميم وفتح الفاء لا غير، "وتزور" ظاهر"[6].

---

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٥٢٤.

(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٦٥.

(٣) سورة المؤمنون من الآية : ٥٠.

(٤) أبو شامة إبراز المعاني : ٣٦٨.

(٥) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم :٨٣٤.

(٦) أبو شامة إبراز المعاني : ٥٦٧.

وفي مواضع أخرىٰ يوجّه القراءة من ناحية المعنىٰ ويستدل علىٰ ذلك أيضـًا بما ورد في أشعار العرب ويذكر بين ثنايا توجيهه القراءة أنها لغة لبعض القبائل العربية ونراه يصرّح ببعض أسماء فروع القبائل كما فعل عند قول الشاطبي -رحمه الله- في (سورة الإسراء) :

خِلافَكَ فَافْتَحْ مَعْ سُكُونٍ وَقَصْرِهِ ∴ (سَمَا صِـ)ـفْ نَآىٰ أَخِّرْ مَعًا هَمْزَهُ (مُـ)ـلا[1]

حيث قال: "و"نأ وناء"[2] كلاهما علىٰ وزن رعىٰ وراع: لغتان وتأخير الهمز من الفعلين علىٰ القلب، فيصير وزنهما "فلع" قال الشاعر:

وَكُلُّ خَليلٍ راءَني فَهوَ قائِلٌ[3]

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٨٢٦.

(٢) في إبراز المعاني :" و"نأ وناء" مثل؛ أي: وراء كلاهما علىٰ وزن رعىٰ وراع " . والكلام هكذا لا يستقيم وقد وضعت الصواب لأنه مراد أبي شامة – رحمه الله – .

(٣) البيت لكثير عزة ، وهو صدر بيت وعجزه : * من أَجلك هَذَا هَامة الْيَوْم أَو غَد *

ينظر: الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفىٰ: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م. ٢/ ١٨٨، ٢/ ١٨٨.

ونقل الشارح في كتاب الغاية عن أبي بكر بن مقسم قال: نأىٰ بوزن نعىٰ لغة قريش وكثير من العرب، وناء بوزن باع لغة هوازن بن سعد بن بكر، وبني كنانة، وهزيل، وكثير من الأنصار، قال شاعرهم:

نجالد عنه بأسيافنا ∴ وناءت معدٌّ بأرض الحرم[1]

وقول الآخر:

..... ∴ ..... وناء بكلكل[2]

قلت: "ناء" في قول امرئ القيس: "وأردف أعجازا وناء بكلكل" ليس من هذا، وذاك معناه نهض ينهض نهوضا ثقيلا؛ لطول صدره "[3]

.

والملاحظ هنا أن أبا شامة – رحمه الله – أراد أن يوجّه البيت من جميع جوانبه فتكلم أولاً عن أصل كلمة " ناء " في اللغة وبيّن وزنها

---

(١) بيت من المتقارب، لم أقف علىٰ قائله بعد البحث ، ينظر البيت : كتاب فيه لغات القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفىٰ: ٢٠٧هـ)، ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع، سنة النشر: ١٤٣٥هـ، ص ٨١.

(٢) جزء من بيت لامرئ القيس يصف فيه الليل ، وكمال البيت :

فَقُلْتُ لَه لَمَّا تَمَطَّي بِصُلْبِهِ ∴ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

ينظر البيت في ديوان امرئ القيس : ٤٨ ، وتفسير زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٣٥٢ ، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢ / ٨٠، وأحكام القرآن للجصاص ٥/ ٢٠

(٣) أبو شامة إبراز المعاني : ٥٦٣ ، ٥٦٤.

ثم أتبع ذلك بذكر وجود القراءتين في لهجات القبائل العربية واستشهد لقراءة " وناء " بالمد ببيتين من الشعر جريا علىٰ ألسنة أحد شعراء الأنصار .

وعند حديث أبي شامة – رحمه الله – عن قراءة ابن عامر " إبراهام " بالألف في مواضع بعينها [1] في القرآن الكريم ذكر أن هذه القراءة هي لغة لأهل الشام وقد نقل ذلك عن العلماء فقال :" كان الأخفش يقرأ مواضع إبراهام بالألف، ومواضع إبراهيم بالياء، ثم ترك القراءة بالألف، وقال لي أبو بكر السلمي أيضا: قال لي أبو الحسن السلمي: كان أهل الشام يقرءون إبراهام بألف في مواضع دون مواضع، ثم تركوا القراءة بالألف وقرءوا جميع القرآن بالياء، قال أبو علي: وهي لغة أهل الشام قديما، كان قائلهم إذا لفظ إبراهيم في القرآن وغيره قال: أبراهام بألف، وقال أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي: دخلت بعض قرىٰ الشام، فرأيت بعضهم يقول لبعض: يا إبراهام فاعتبرت ذلك فوجدتهم ما يعرفون غيره، قال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا محمد بن أسامة

(١) لو كانت القراءات بالاجتهاد لقرأ ابن عامر جميع مواضع " إبراهيم " بالألف إذ لا فرق بينها فالاسم واحد في جميع المواضع وهذا من أقوىٰ الأدلة الواقعية علىٰ أن القراءات المتواترة كلها توقيفية عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – ولا مجال فيها للرأي أو الاجتهاد .للمزيد عن توقيفية القراءات ينظر التلقي والمشافهة الدكتور سامي هلال : ٢٢ وما بعدها . المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا – العدد الثاني .

الحلبي -وكان كيسا حافظا- قال: حدثنا ضمرة عن علي عن أبي جميل عن يحيىٰ بن راشد قال: صليت خلف ابن الزبير صلاة الفجر فقرأ: "صحف إبراهام وموسىٰ"، قال أبو زرعة: وسمعت عبد الله بن ذكوان بحضرة المشايخ وتلك الطبقة العالية قال: سمعت أبا خليد القارئ يقول: في القرآن ستة وثلاثون موضعا إبراهام، قال أبو خليد: فذكرت ذلك لمالك بن أنس فقال: عندنا مصحف قديم فنظر فيه ثم أعلمني أنه وجدها فيه كذلك " (١).

وعند توجيهه قراءة كسر الهمزة من كلمة " فلأمه " لحمزة والكسائي نقل رأي أبي جعفر النحاس في كتابه (إعراب القرآن) فقال : " قال أبو جعفر النحاس -رحمه الله- في كسر "فلأمه": هذه لغة حكاها سيبويه، قال: هي لغة كثير من هوازن وهذيل، وقوله: لدىٰ الوصل يريد به وصل حرف الجر بهمزة "أم" فلو فصلت بأن وقفت علىٰ حرف الجر ضمت الهمزة بلا خلاف؛ لأنه لم يبق قبلها ما يقتضي كسرها " (٢).

وربّما لم يصرّح باسم القبيلة ويكتفي بكونها لغة فصيحة عند العرب كما فعل عند قول الشاطبي – رحمه الله – :

(١) أبو شامة إبراز المعاني : ٢٤٤.

(٢) أبو شامة إبراز المعاني : ٤١ ، والنحاس إعراب القرآن ١/ ٢٠٣.

وَفِي الكَهْفِ (حُـ)ـسْنَاهُ وَضَمُّ حُلِيِّهِمْ ∴ بَكَسْرٍ (شَـ)ـفَا وَافٍ وَالِاتْبَاعُ ذُو حُلا[1]

حيث قال في شرح البيت وبيان قراءة كسر الحاء من لفظ " حليهم " تبعًا لكسر اللام بعدها :" وحلىٰ جمع حلي، الأصل ضم الحاء ومن كسرها أتبعها كسرة اللام فلهذا قال: والاتباع ذو حلا؛ تعليلا لهذه القراءة؛ أي: الإتباع معروف في لغة العرب مستحسن عندهم، وليس قوله: ذو حلا برمز؛ فإن رمْز قراءة الكسر في قوله: شفا" [2] .

وهو هنا يؤكّد علىٰ أن اتباع كسر الحاء في " حليهم " جاء تبعا لكسر اللام بعدها، وأن هذا الاتباع مشهور عند العرب يتبعون الكسر لكسر قبله أو بعده، وكذا يتبعون الضم لضم قبله أو بعده .

وقد لوحظ في جلّ ما سبق من توجيه أبي شامة القراءة بكونها أحد لهجات القبائل العربية أنه ناقلٌ عمّن سبقه في هذا الشأن خاصّة علماء العربية الذين هم أهل الاختصاص في هذا الشأن وهذا يدل علىٰ سعة اطّلاعه وشغفه بالعربية وأهلها .

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٦٩٩.

(٢) أبو شامة إبراز المعاني : ٤٨٢.

المطلب الخامس

توجيه القراءة من خلال المعنى

توجيه القراءة القرآنية ببيان معناها كان له حظٌّ وافرٌ عند أبي شامة – رحمه الله – فكثيراً ما وجّه القراءة ببيان المراد منها وهو في هذا يريد اثراء القراءات الواردة في الكلمة القرآنية وكيف أن القراءات بتنوّعها أضافت معانٍ جليلة وهذا لا يعني أبداً أن القراءات بتعدّدها تعطي معنىً منافيًا أو مضادّاً للقراءة الأخرىٰ وإنما تضفي معنىً جديداً وتزيده جمالاً .

وبتتبّع توجيه أبي شامة – رحمه الله – لفرش الحروف القرآنية وجدت أنه اطّلع علىٰ أمّهات كتب التفسير ومعاني القرآن وإعرابه وجمع منها ما تكلّم فيه أصحابها في شأن القراءات الموجودة في الكلمة القرآنية واستخلص من هذه المصنّفات لُبَّ ما أراده أصحابها من معان سامية حتىٰ جاء توجيهه في جانب المعنىٰ متفرّداً في بابه .

وقد أحصيت توجيه أبي شامة – رحمه الله – القراءة من ناحية المعنىٰ فوجدته فعل ذلك فيما يقرب من مئة وأربعة عشر بيتًا[1]، ومن أمثلة ذلك :

عند قول الشاطبي – رحمه الله– في (سورة آل عمران):

---

(١) للمزيد من المواضع ينظر إبراز المعاني صفحات : ٤٢٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٥٦٢ ، ٥٨٨ ، ٦١٢ .

وَفِي تُغْلَبُونَ الغَيْبُ مَعْ تُحْشَرُونَ(فِـ)ي .:. (رِ)ضًا وَتَرَوْنَ الغَيْبُ (خُـ)ـصَّ وَخُلِّلا[1]

حيث أطنب أبو شامة – رحمه الله – في الحديث عن توجيه القراءة الواردة في قوله تعالي: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ [2] بالخطاب والغيب فقال:" يريد قوله: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ [3]؛ أي: خص الذين حضروا القتال فهم الذين رأوا الخطاب قيل لليهود وقيل لمن غاب عن الوقفة من المسلمين أو المشركين فلم يختص الرائي علىٰ قراءة الخطاب بالحاضرين، فالمعنىٰ علىٰ قراءة الغيب: يرىٰ المشركون المسلمين مثلي المشركين أو مثلي المسلمين، أو يرون أنفسهم مثلي المسلمين أو يرىٰ المسلمون المشركين مثلي المسلمين، وذلك أيضا تقليل؛ لأنهم كانوا أكثر من ثلاثة أمثالهم، أو يرون أنفسهم مثلي المشركين، وعلىٰ قراءة الخطاب :يحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين؛ أي: ترون المشركين ببدل مثلي المسلمين الحاضرين لها، أو ترون المسلمين الحاضرين مثلي المشركين، أو ترون المسلمين مثلي المسلمين تكثيرا لهم، ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين؛ أي: ترون المسلمين مثلي المشركين ترغيبا لهم، أو ترون المشركين مثلي المسلمين حقيقة، ومع هذا نُصِر المسلمون عليهم، ويحتمل أن يكون الخطاب

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٥٤٧.

(٢) آل عمران من الآية : ١٣.

(٣) سورة آل عمران من الآية : ١٣.

لليهود؛ أي: ترون المشركين مثلي المسلمين حقيقة أو ترون المسلمين مثلي المشركين آية من الله تعالىٰ أو ترون المسلمين مثلي المسلمين، وعلىٰ الجملة فهذه الوجوه كلها ما كان منها دالا علىٰ التقليل من الطريقين فهو علىٰ وفق ما كان في سورة الأنفال من قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يُرِيكَهُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾[1] وما كان منها دالا علىٰ التكثير فوجه الجمع بين الآيتين :أن التكثير وقع بعد التقليل وكان حكمة تقليل المسلمين أولا أن لا يكترث لهم الكفار ويستهينوا أمرهم فلا يكثروا الاستعداد لهم[2].

وهو يعنىٰ أن يضع خلاصة ما ذكره أهل التفسير من توجيه للقراءتين حيث ذكر المفسرون معاني كثيرة علىٰ قراءة الغيب والخطاب في لفظ " يرونهم " واستشهد أبو شامة – رحمه الله – بجلّ هذه المعاني في توجيه القراءتين .

وعند قول الشاطبي –رحمه الله– في سورة (يونس عليه السلام) :

وَإِسْكَانُ قِطْعًا (دُ)ونَ (رَ)يْبٍ وُرُودُهُ .: وفِي بَاءِ تَبْلُو التَّاءُ (شَـ)ـاعَ تَنَزُّلا[3]

في هذا البيت وجّه أبو شامة – رحمه الله – القراءة من ناحية المعنىٰ وكان ذلك مصاحبًا لتوجيهه القراءة بورودها في أشعار العرب وبوجود

(١) سورة الأنفال من الآية : ٤٤ .

(٢) أبو شامة إبراز المعاني : ٣٨٢ ، ٣٨٣.

(٣) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم :٧٤٧.

نظير لها في موضع آخر من القرآن الكريم فقال : " القطع بسكون الطاء: الجزء من الليل الذي فيه ظلمة، قال الله تعالىٰ: {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}.

وقال الشاعر:

افْتَحِيْ الْبَابَ وَانْظُرِي فِي النُّجُومِ ∴ كَمْ عَلَيْنَا مِن قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ[(١)]

وبفتح الطاء: جمع قطعة، وكلتا القراءتين ظاهرة، وقوله: مظلما صفة قطعا علىٰ قراءة الإسكان، وعلىٰ قراءة الفتح هو حال من الليل؛ وأما: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾[(٢)]، فقرأها حمزة والكسائي بتاءين من التلاوة أو من التلو وهو: الإتباع، وقرأها الباقون بباء موحدة قبل اللام من الاختبار ..."[(٣)].

في القراءتين الواردتين في البيت وجّه أبو شامة – رحمه الله – القراءات من ناحية بيان معناها علىٰ كل قراءة فبيّن معنىٰ اللفظ من ناحية أصله في المعجم العربي، وقد لوحظ استخدامه أدوات عدة في توجيه القراءة فهو إلىٰ جانب بيان المعنىٰ[(٤)].

---

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب٨/ ٢٨٢ (قطع)؛ وتاج العروس٢٢/ ٣٤ (ق ط ع)؛ وديوان الأدب١/ ١٨٨؛ وكتاب العين١/ ١٣٩.

(٢) يونس: ٣٠.

(٣) أبو شامة إبراز المعاني : ٥٠٧.

(٤)تكلّم الزمخشري وبعده السمين الحلبي في القراءات في الواردة في لفظ " قطعا " وذكروا المعنىٰ علىٰ كل قراءة يقول السمين الحلبي:" قوله : {

وعند قول الشاطبي -رحمه الله- في (سورة الرحمن ﷻ):

وَرَفْعَ نُحَاسٌ جَرَّ(حَقٌّ)وَكَسْرَ مِيـ ∴ ـمِ يَطْمِثْ فِي الأُولَىٰ ضُمَّ(تُـ)ـهْدىٰ وَتُقْبَلا[1]

نجد أن أبا شامة – رحمه الله – ذكر القراءات الواردة في البيت والموجودة في قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾[1]،

قِطَعًا } قرأ ابن كثير والكسائي « قِطْعًا » بسكون الطاء ، والباقون بفتحها . فأما القراءة الأولىٰ فاختلفت عبارات الناس فيها ، فقال أهل اللغة : « القِطْع » ظلمة آخر الليل . وقال الأخفش في قوله : « بقِطْع من الليل » بسواد من الليل . وقال بعضهم : « طائف من الليل » ، وأنشد الأخفش :

افتحي الباب فانظري في النجومِ ∴ كم علينا من قِطْعِ ليلٍ بَهيم

وأمَّا قراءةُ الباقين فجمعُ « قِطْعة » نحو : دِمْنة وَدِمَن ، وكِسْرة وكِسَر وعلىٰ القراءتين يختلف إعراب « مظلمًا » ، فإنه علىٰ قراءةِ الكسائي وابن كثير يجوز أن يكونَ نعتًا ل « قِطْعًا » ، ووُصِف بذلك مبالغةً في وَصْف وجوهِهم بالسواد ، ويجوز أن يكونَ حالاً فيه ثلاثةُ أوجه ، أحدها : أنه حالٌ من « قِطْعًا » ، وجاز ذلك لتخصُّصه بالوصف بالجارِّ بعده وهو « من الليل » ، والثاني : أنه حالٌ من « الليل » ، والثالث : أنه حالٌ من الضميرِ المستتر في الجارِّ لوقوعه صفة .

وأمَّا قراءة الباقين فقال مكي وغيره : « إنَّ » مظلمًا « حال من » الليل « فقط . ولا يجوز أن يكون صفةً ل » قِطَعًا « ، ولا حالاً منه ، ولا من الضمير في » من الليل « ، لأنه كان يجب أن يقال فيه : مظلمة » . قلت : يَعْنُون أنَّ الموصوف حينئذ جمعٌ ، وكذا صاحب الحال فتجب المطابقةُ . وأجاز بعضهم ما منعه هؤلاء وقالوا : جاز ذلك لأنَّه في معنىٰ الكثير ، وهذا فيه تعسُّفٌ .الدر المصون ٦/ ١٨٧

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم :١٠٥٥.

وكذا في قوله تعالىٰ :" ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ [٢] ووجّه القراءات الواردة فيهما من ناحية المعنىٰ، فقال:" ووجه رفع نحاس العطف علىٰ شواظ وجره عطف علىٰ نار، أي: الشواظ من نار ونحاس وفي النحاس قولان؛ أحدهما: أنه الدخان، والثاني: أنه الصفر المذاب[٣] وفي الشواظ أيضا قولان لأهل اللغة؛ قال أبو عبيد: هو اللهب لا دخان فيه، وقال بعضهم لا يكون الشواظ إلا من النار والدخان جميعا، فإن قلنا: النحاس بمعنىٰ الدخان والشواظ :ما لا دخان فيه ظهرت قراءة الرفع، وعلىٰ القول الآخر تظهر قراءة الجر، وإن قلنا: النحاس هو الصفر المذاب ظهرت أيضا قراءة الرفع واستخرج أبو علي وجها لقراءة الجر علىٰ قولنا الشواظ ما لا دخان فيه وهو أن التقدير: وشيء من نحاس فيحذف الموصوف وتقام الصفة مقامه ثم حذفت (من) من قوله: ومن نحاس؛ لأن ذكره قد سبق في من نار[٤]، ويقال: طمث البكر يطمثها ويطمثها بفتح الميم في الماضي وبكسرها

---

(١) سورة الرحمن من الآية : ٣٥.

(٢) سورة الرحمن من الآية : ٥٦.

(٣) (الصفر) النّحاس الْأَصْفَر والخالي من الْأَشْيَاء (الْوَاحِد وَالْجمع فِيهِ سَوَاء) وَيجمع أَيْضا علىٰ أصفار وَيَقُولُونَ إِنَاء أصفار . المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهر - إبراهيم مصطفىٰ / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار - الناشر: دار الدعوة .

(٤) أبو علي الفارسي حجة القراءات ٦ / ٢٤٩ - ٢٥١ .

وبضمها في المضارع إذا دماها بالجماع، وعني بالأولىٰ التي بعدها: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾[1] ضم الميم الدوري عن الكسائي"[2].

أبو شامة هنا في توجيه القراءتين في كلمة (ونحاس) ولكونها متعلّقة بالإعراب وجّه القراءة أولاً من الناحية الإعرابية حتىٰ تتضح الكلمة رفعًا وجراً ثمّ بيّن المعنىٰ علىٰ قراءتي الرفع والجر فأتبع المعنىٰ الإعراب لكونه متعلقًا به، ثم بيّن المعنىٰ أيضًا علىٰ قراءتي ضم الميم وكسرها في " يطمثهن " الموضع الأول من سورة الرحمن وبيّن أن المعنىٰ علىٰ القراءتين واضحٌ .

(١) سورة الرحمن من الآية : ٥٨.

(٢) أبو شامة إبراز المعاني : ٦٩٥.

المطلب السادس
توجيه القراءة ببيان وجهها الإعرابي

كان للإعراب الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من توجيه أبي شامة – رحمه الله – القراءات القرآنية، فقد امتلأ شرحه (إبراز المعاني) بالكثير من الأوجه الإعرابية، ويبدو أن أبا شامة – رحمه الله – كان مولعًا بالجانب الإعرابي فنراه يعرب ألفاظًا كثيرة من أبيات (الشاطبية) بالإضافة إلىٰ توجيهه القراءة ببيان وجهها الإعرابي، وهو يفعل ذلك عادة عندما تتعلق القراءة برفع كلمة أو نصبها أو جرها، وكلما كانت الكلمة الوارد بها قراءة قرآنية تختصّ بوجه من الوجوه الإعرابية فإنه لا يأل جهداً في بيان كل ما يتعلق بها من وجوه الإعراب، وهذا يؤكد ما ذكرته سابقًا أن حبه للغة العربية وعشقه لها جعله يهتم بجانب الإعراب في شرحه اهتمامًا كبيراً، ومن أمثلة ذلك ما يلي :-

عند شرح أبي شامة – رحمه الله – لقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في سورة البقرة :

عَلِيمٌ وَقَالُوا الوَاوُ الْاولَىٰ سُقُوطُهَا .: وَكُنْ فَيَكُونُ النَّصْبُ فِي الرَّفْعِ (كُـ)ـفِّلا[1]

أطنب في إعراب البيت نفسه وأطنب في إعراب القراءات الواردة فيه فقال :"يعني أسقط ابن عامر الواو الأولىٰ من (وقالوا) الذي قبله (عليم)، يعني قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱللَّهَ وَٰسِعُ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٤٧٤.

سُبْحَٰنَهُۥ ﴾[١] احترز بتقييده عما قبله من قوله ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[٢]، وهذه الواو التي أسقطها ابن عامر اتبع فيها مصاحف أهل الشام؛ فإنها لم ترسم فيها؛ فالقراءة بحذفها علىٰ الاستئناف، ولأن واو العطف قد تحذف إذا عرف موضعها[٣]، وربما كان حذفها في أثناء الجمل أحسن، ولا سيما إذا سيقت للثناء والتعظيم ألا ترىٰ إلىٰ حسنه في قوله تعالىٰ في أول سورة الرعد ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ

---

(١) سورة البقرة من الآيتين : ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية : ١١ .

(٣) قال الإمام السيوطي :" مَسْأَلَة يجوز حذف الْمَعْطُوف بِالْوَاو مَعهَا : كَقَوْلِه تَعَالَىٰ: {سرابيل تقيكم الْحر} [النَّحْل: ٨١] أَي وَالْبرد {بِيَدِك الْخَيْر} [آل عمرَان: ٢٦] أَي وَالشَّر {وَتلك نعْمَة تمنها عَليّ أَن عبدت بني إِسْرَائِيل} [الشُّعَرَاء: ٢٢] أَي وَلم تعبدني ، (وَكَذَا الْوَاو) يجوز حذفهَا (دونه) أَي دون الْمَعْطُوف بهَا (فِي الْأَصَح) كَذَلِك الحَدِيث: (تصدق رجل من دينار ه من درهمه من صَاع بره من صَاع تمره) وَحكي (أكلت سمكًا لَحْمًا تَمرا) . همع الهوامع ٣/ ٢٢٦. وقد أجاز مجمع اللغة العربية فيس مصر حذف الواو إذا أمن اللبس اعتماداً علىٰ كلام الإمام السيوطي وكأنه تفرد به . ينظر : معجم الصواب اللغوي د/ أحمد مختار عمر ٢ / ٩٥٣ ، وقد ذكر ابن مالك في الألفية أن واو العطف تحذف إن أمن اللبس فقال في ألفيته:

والفاء قد تحذف مع ما عطفت ∴ والوا إذ لا لبس وهي انفردت

بعطف عامل مزال قد بقي ∴ معموله دفعاً لوهمٍ اتقي

الألفية : ٤٨ .

ءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾[1]. وفي قوله: {الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}، وقول الناظم: عليم، وقالوا هذا المجموع مبتدأ وقوله الواو الأولىٰ بدل من المبتدأ بدل البعض وسقوطها بدل من الواو بدل الاشتمال ويجوز أن يكون الواو الأولىٰ مبتدأ ثانيا أي الواو الأولىٰ من هذا اللفظ وسقوطها مبتدأ ثالثا، واحترز بقوله الأولىٰ من الواو التي بعد اللام، وقوله: وكن فيكون أيضا مبتدأ معطوف علىٰ المبتدأ الأول والنصب في الرفع مبتدأ ثانٍ لهذا المبتدأ أي النصب فيه في مواضع الرفع، وفي كفلا ضمير تثنية يرجع لىٰ المبتدأين فهو خبر عنهما أي سقوط الواو الأولىٰ من عليم، وقالوا: والنصب في الرفع من كن فيكون كفلا أي حملا فهو كما تقول زيد ثوبه وعمرو قميصه مسلوبان كأنك قلت قميص زيد وقميص عمرو مسلوبان ويجوز أن يكون خبر سقوطها محذوفا دل عليه قوله: كفلا الذي هو خبر النصب في الرفع فالألف في كفلا علىٰ هذا للإطلاق لا ضمير تثنية وجعلها ضمير تثنية أولىٰ لترتبط المسألتان لقارئ واحد علىٰ ما هو غرض الناظم فإن هذا موضع ملبس؛ إذ لا مانع من أن تكون المسألة الأولىٰ للرمز السابق في البيت الذي قبل هذا البيت فإنه لم يأت بينهما بواو فاصلة، وقد أتىٰ بين

(١) سورة الرعد من الآية : ٢.

هاتين المسألتين بواو فاصلة وهي قوله: وكن فيكون فيظهر كل الظهور التحاق المسألة الأولىٰ بما تقدم " [١].

وقد لوحظ إعراب أبي شامة – رحمه الله – جلّ كلمات البيت كما وجّه القراءات الواردة فيه أيضـًا ببيان أوجهها الإعرابية، ومن الأمثلة الدالّة علىٰ ذلك أيضـًا:

عند شرحه قول الشاطبي –رحمه الله– في (سورة طه):

وَقُلْ سَاحِرٍ سِحْرٍ (شَـ)ـفَا وَتَلَقَّفُ ارْ .ْ. فَعِ الْجَزْمَ مَعْ أُنْثىٰ يُخَيَّلُ (مُـ)ـقْبِلا[٢]

بعد أن ذكر القراءات الموجودة في لفظ " ساحر " في أول البيت بيّن ما في كلمة (تلقف) من قراءات ووجّهها من ناحية الإعراب فقال: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾[٣] الرفع علىٰ الاستئناف أو في موضع الحال المقدرة من فاعل ألقىٰ أو مفعوله، فالتاء للخطاب علىٰ الأول، وللتأنيث علىٰ الثاني، وإنما أنث والمفعول هو (ما) بمعنىٰ الذي اعتبارا بالمدلول وهو العصا، وجزم تلقف علىٰ جواب الأمر وهي قراءة الجماعة، ولم يرفع غير ابن ذكوان وحده وهو الذي قرأ تخيل إليه بالتأنيث، فقول الناظم: (مقبلا) رمز للحرفين تلقف وتخيل، ومقبلا حال من فاعل ارفع، وأقام قوله: أنثىٰ مقام تأنيثًا إقامة للاسم مقام المصدر، وهو استعمال بعيد في

(١) أبو شامة إبراز المعاني : ٣٣٨.

(٢) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٨٧٨.

(٣) سورة طه من الآية : ٦٩.

مثل هذا، أو أراد مع كلمة أنثىٰ؛ أي: مؤنثة، ثم بينها بقوله: تخيل؛ أي: هي تخيل، وجعلها أنثىٰ لما كان التأنيث فيها، ووجه التأنيث أن يكون الضمير في ﴿ يُخَيَّلُ ﴾ [١] للحبال والعصىٰ، ويكون قوله: ﴿ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [٢] بدل اشتمال منه وعلىٰ قراءة التذكير يكون قوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾، وهو مرفوع تخيل؛ أي: تخيل إليه سعيها "[٣] .

الإمام أبو شامة – رحمه الله – في هذا المثال دمج إعراب قراءة ابن ذكوان برفع (تلقفُ) وتأنيث (يخيل) مع إعراب الألفاظ الواردة في البيت وهي قول الشاطبي (مقبلا) و (أنثىٰ) وكأنه لا يريد أن يترك شيئًا يتعلق بالقراءة أو بما ذكره الشاطبي في منظومته إلا ويذكره من جميع جوانبه إعرابًا ومعنىً زيادة في الإيضاح والبيان .

وفي موضع آخر من شرح الشيخ أبي شامة – رحمه الله – وعند قول الشاطبي –رحمه الله– في (سورة النبأ) :

وَفي رَفْعِ با رَبُّ السَّموَاتِ خَفْضُهُ .: (ذَ)لُولٌ وَفِيْ الرَّحْمنِ (نَا)مِيهِ (كَـ)ـمَّلا[٤]

قال : " أي: خفض الباء من ﴿ ربِّ ﴾ [٥]الكوفيون وابن عامر ، وخفض النون من "الرحمن" لعاصم وابن عامر فخفضهما علىٰ البدل

(١) سورة طه من الآية : ٦٦.

(٢) سورة طه من الآية : ٦٦.

(٣) أبو شامة إبراز المعاني : ٥٩٣ ، ٥٩٤.

(٤) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ١١٠٠ .

(٥) سورة النبأ من الآية : ٣٧.

من ربك، ويجوز في "الرحمن" أن يكون صفة أو عطف بيان ومن رفعهما كان علىٰ تقدير هو رب السموات الرحمن أو يكون (رب) مبتدأ و(الرحمن) خبره أو (الرحمن) نعته أو عطف بيان له و(لا يملكون) خبره، ومن غاير بينهما وهو حمزة والكسائي خفضا باء (رب) علىٰ البدل ورفع (الرحمن) علىٰ الابتداء (ولا يملكون) خبره أو علىٰ تقدير هو الرحمن واستئناف لا يملكون وتقدير البيت وخفض الرفع في الرحمن ناقله كملا؛ لأنه كمل الخفض في الحرفين معا يقال نميت الحديث إذا بلغته. والله أعلم "[1].

وقد اتضح من خلال هذا المثال أنه لا يكتفي بذكر وجه إعرابي فقط وإنما يذكر الوجوه الإعرابية المحتملة أيضًا كما فعل في قراءة ﴿ ربِّ ﴾[2] بالخفض والرفع، وكذا في قراءة ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[3] بالرفع والخفض أيضًا .

وقد يوجّه أبو شامة – رحمه الله – القراءة من ناحية الإعراب أيضًا وينتصر لوجهها الإعرابي ويدافع عنها ويردّ طعن الطاعنين عليها ومن أمثلة ذلك :-

ما فعله عند الحديث عن قراءة حمزة في سورة النساء ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ بخفض لفظ (والأرحامِ) وهذه القراءة طعن فيها بعض أهل اللغة من ناحية عدم جواز عطف الإسم الظاهر وهو (

(١) أبو شامة إبراز المعاني : ٧١٨.
(٢) سورة النبأ من الآية : ٣٧.
(٣) سورة النبأ من الآية : ٣٧.

والأرحام) علىٰ المضمروهو قوله قبلها (به) من غير إعادة حرف الجار حيث قال أبو شامة – رحمه الله – عند شرحه قول الشاطبي في سورة النساء : –

كُوفِيُّهُمْ تَسَّاءَلُونَ مُخَفَّفًا .·. وَحَمْزَةُ وَالأَرْحَامَ بِالخَفْضِ جَمَّلا[1]

وقرأها حمزة والأرحام بالجر وعبر الناظم عنه بالخفض، واستحسنه الشيخ هنا، وقال: فيه تورية مليحة؛ لأن الخفض في الجواري الختان، وهو لهن جمال والخفض الذي هو الإعراب جمال الأرحام لما فيه من تعظيم شأنها، قلت: يعني: بسبب عطفها علىٰ اسم الله تعالىٰ أو بسبب القسم بها، وبهذين الوجهين عللت هذه القراة، وفي كل تعليل منهما كلام، أما العطف فالمعروف إعادة حرف الجر في مثل ذلك كقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾[2] ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[3] ونحو ذلك، وقال الزجاج: " القراءة الجيدة نصب الأرحام، المعنىٰ واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فأما الخفض فخطأ في العربية؛ لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأ أيضا في أمر الدين عظيم[4]؛ لأن النبي –صلىٰ

(١)الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم :٥٨٧.

(٢)سورة الزخرف من الآية : ٤٤.

(٣)سورة القصص من الآية : ٨١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٦ و ٧ .

الله عليه وسلم- قال: "لا تحلفوا بآبائكم"[(١)]، فكيف يكون تتساءلون بالله والأرحام علىٰ هذا قال: ورأيت إسماعيل بن إسحاق ينكر هذا، ويذهب إلىٰ أن الحلف بغير الله أمر عظيم، وأن ذلك خاص لله تعالىٰ علىٰ ما أتت به الرواية، فأما العربية فإجماع النحويين أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر علىٰ اسم مضمر في حال الخفض إلا بإظهار الخافض، قال بعضهم: لأن المخفوض حرف متصل غير منفصل فكأنه كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف اسم يقوم بنفسه علىٰ اسم لا يقوم بنفسه، وقال المازني كما لا تقول مررت بزيد وبك، لا تقول مررت بك وزيد، قلت: هاتان العلتان منقوضتان بالضمير المنصوب، وقد جاز العطف عليه فالمجرور كذلك، وأما إنكار هذه القراءة من جهة المعنىٰ لأجل أنها سؤال بالرحم وهو حلف، وقد نهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ، فجوابه أن هذا حكاية ما كانوا عليه، فحضهم علىٰ صلة الرحم ونهاهم عن قطعها، ونبههم علىٰ أنها بلغ من حرمتها عندهم أنهم يتساءلون بها، ثم لم يقرهم الشرع علىٰ ذلك بل نهاهم عنه، وحرمتها باقية وصلتها مطلوبة وقطعها محرم، وجاء في الحديث أن النبي -صلىٰ الله عليه

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٤٢ كتاب (مناقب الأنصار) باب (أيام الجاهلية)، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٢٦٧ – كتاب (الأيمان) – باب (النهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ).

وسلم- تلا هذه الآية عند حثه علىٰ الصدقة يوم قدم عليه وفد مضر[١]، وهو إشارة إلىٰ هذا سواء كان قرأها نصبا أو خفضا فكلاهما محتمل، وخفي هذا علىٰ أبي جعفر النحاس، فأورد هذا الحديث ترجيحا لقراءة النصب، ولا دليل له في ذلك، فقراءة النصب علىٰ تقدير: واتقوا الأرحام التي تتساءلون بها، فحذف استغناء بما قبله عنه، وفي قراءة الخفض حذف: واتقوا الأرحام ونبه بأنهم يتساءلون بها علىٰ ذلك، وحسن حذف الياء هنا أن موضعها معلوم فأنه كثر علىٰ ألسنتهم قولهم: سألتك بالله والرحم وبالرحم فعومل تلك المعاملة مع الضمير[٢]؛ فهو أقرب من قول رؤبة خير لمن قال له: كيف أصبحت؟ أي: بخير لما كان ذلك معلوما، قال الزمخشري في كتاب الأحاجي في قولهم لا أبا لك: اللام مقدرة منوية وإن حذفت من اللفظ الذي شجعهم علىٰ حذفها شهرة مكانها وأنه صار معلوما؛ لاستفاضة استعمالها فيه وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال، ومنه حذف (لا) في: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[٣].

---

(١) حديث صحيح:أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٧٠٤ :(كتاب الزكاة) ،باب (الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار)، وأحمد في مسنده ٣١/ ٥٠٩ : (مسند الكوفيين).

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٩٧، ١٩٨ .

(٣) سورة يوسف من الآية : ٨٥ .

وحذف الجار في قوله: روبة خير إذا أصبح[١]، وحمل قراءة حمزة: "تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ" عليه سديد؛ لأن هذا الكلام قد شهر بتكرير الجار، فقامت الشهرة مقام الذكر، وقال في الكشاف: وينصره قراءة ابن مسعود: "تَسَاءَلُونَ بِهِ وَبالْأَرْحَامِ"[٢].

قال الفراء: حدثني شريك بن عبد الله عن الأعمش عن إبراهيم قال: "والأرحامِ" خفض الأرحام قال: هو كقولهم أسألك بالله والرحمِ، قال: وفيه قبح؛ لأن العرب لا ترد مخفوضا علىٰ مخفوض قد كني عنه، قال: وقال الشاعر في جوازه:

نعلق في مثل السواري سيوفنا ∴ وما بينها واللعب غوط نفانف[٣]

قال: وإنما يجوز هذا في الشعر؛ لضيقه[٤]، قال الزجاج: وقد جاء ذلك في الشعر أنشد سيبويه:

---

(١) يقول ابن خالويه: "فأما الكوفيون فأجازوا الخفض، واحتجوا للقارئ بأنه أضمر الخافض، واستدلوا بأن العجاج – وهو رؤبة بن العجاج – كان إذا قيل له: كيف تجدك؟ يقول: خيرٍ عافاك الله، يريد: بخيرٍ". الحجة في القراءات السبع: ١١٩ .

(٢) الزمخشري الكشاف ١ / ٤٩٢ .

(٣) البيت من الطويل، لمسكين الدارمي في ديوانه ٥٣، ينظر: الحيوان، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفىٰ: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢: ١٤٢٤هـ، ٦/ ٥٨٤، وينظر: شرح كتاب سيبويه: ٣/ ١٤٥.

(٤) الفراء معاني القرآن ١ / ٢٥٣ .

.... ∴ فَاذْهَب فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ[(١)]

وقال العباس بن مرداس:

أكر علىٰ الكتيبة لا أبالي ∴ أحتفي كان فيها أم سواها[(٢)]

وأنشده الحق في إعرابه لحسان بن ثابت فانظر بنا والحق كيف نوافقه والأبيات المتقدمة وزاد:

إذا أوقدوا نارا لحرب عدوهم ∴ فقد خاب من يصلىٰ بها وسعيرها[(٣)]

ثم أخذ في الاستدلال علىٰ صحة ذلك وقوته من حيث النظر، وأصاب -رحمه الله- فإن الاستعمال قد وجد، وكل ما يذكر من أسباب المنع فموجود في الضمير المنصوب مثله، وقد أجازوا العطف عليه فالمجرور كذلك قياسا صحيحا، وقول أبي علي في الحجة هو ضعيف في القياس قليل في الاستعمال ممنوع، ولقائل أن يقول: العطف

---

(١) البيت بلا نسبة في الكتاب لسيبويه ٢/ ٣٨٣، وخزانة الأدب ٥/ ١٢٣، وشرح الأشموني ٢/ ٣٩٤، وشرح المفصل٢/ ٢٨٢، والشاهد فيه قوله: (والأيامِ) حيث عطفها علىٰ كاف (بك) المجرورة بالباء دون إعادة حرف الجر.

(٢) بيت من الوافر، للعباس بن مرداس السلمي، ينظر: شرح كتاب سيبويه، ٣/ ١٤٥، وينظر: شرح ديوان الحماسة، ص١١٨.

(٣) البيت بلا نسبة في شرح الكافية الشافية لابن مالك ١/ ٦٥ – تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي – الناشر: جامعة أم القرىٰ : مكة المكرمة ط١: د.ت، وهو من شواهد البحر المحيط ٢/ ١٥٧، والشاهد فيه كسابقه قوله: "بها وسعيرها" حيث عطف "سعيرها" علىٰ الضمير المجرور في بها من غير تكرار حرف الجر .

علىٰ الضمير المنصوب كذلك، فقال الشيخ في شرحه: حكىٰ قطرب: ما فيها غيره وفرسه، وقال في شرح المفصل: وقد أجاز جماعة من النحويين الكوفيين أن يعطف علىٰ الضمير المجرور بغير إعادة الخافض، واستدلوا بقراءة حمزة وهي قراءة مجاهد والنخعي وقتادة وابن رزين ويحيىٰ بن واب وطلحة والأعمش وأبي صالح وغيرهم، وإذا شاع هذا فلا بعد في أن يقال مثل ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [1] ؛ أي: وبحرمة المسجد الحرام، ولا حاجة أن يعطف علىٰ سبيل الله كما قاله أبو علي وغيره، ولا علىٰ الشهر الحرام كما قاله الفراء؛ لوقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، وإن كان لكل وجه صحيح والله أعلم، والوجه الثاني في تعليل قراءة الخفض في الأرحام أنها علىٰ القسم وجوابه إن الله كان عليكم رقيبا أقسم سبحانه بذلك كما أقسم بما شاء من مخلوقاته من نحو ﴿والتين والزيتون﴾، ﴿والعصر﴾، ﴿والضحىٰ﴾، ﴿والليل﴾ إما بها أنفسها أو علىٰ إضمار خالقها -عز وجل- وهو كإقسامه بالصافات وما بعدها علىٰ أن إلهكم لواحد وهذا الوجه وإن كان لا مطعن عليه من جهة العربية فهو بعيد؛ لأن قراءة النصب وقراءة ابن مسعود بالباء مصرحتان بالوصاية بالأرحام علىٰ ما قررناه، وأما رد بعض أئمة العربية ذلك فقد

(١) سورة البقرة من الآية : ٢١٧.

سبق جوابه، وحكىٰ أبو نصر بن القشيري -رحمه الله- في تفسيره كلام أبي إسحاق الزجاج الذي حكيناه، ثم قال: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- تواترًا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- فمن رد ذلك فقد رد علىٰ النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور لا تقلد فيه أئمة اللغة والنحو، ولعلهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح منه؛ فإنا لا ندعي أن كل القراءات علىٰ أرفع الدرجات في الفصاحة[1] قلت: وهذا كلام حسن صحيح والله أعلم"[2].

(١) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤ ، ومحمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٣/ ٢٢ .

(٢) أبو شامة إبراز المعاني : ٤١٠ - ٤١٢.

المطلب السابع
توجيه القراءة بموافقتها الرسم المصحفي

رسم المصحف الشريف أيضـًا كان له نصيبٌ عند الإمام أبي شامة – رحمه الله – ففي بعض المواضع يوجّه القراءة لموافقتها رسم أحد المصاحف العثمانية، وهو في هذا يؤكد علىٰ ركن أصيلٍ من أركان القراءة الصحيحة ألا وهو : موافقتها رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، فإذا ذكر الشاطبي قراءة لقارئ من القراء السبعة وكانت موجودة في أحد المصاحف التي أرسلها سيدنا عثمان – رضي الله عنه – إلىٰ الأمصار الإسلامية فإنه ينبه علىٰ ذلك كما فعل عند قراءة نافع وابن عامر؛حيث أشار إلىٰ أن الكلمة رسمت كذلك في المصحف المدني والشامي، وكما فعل عند قراءة ابن كثير المكي في ذكر زيادة " من " الجارة قبل لفظ " تحتها " في سورة براءة حيث أشار إلىٰ أنها رسمت كذلك في المصحف المكي، وفي مواضع أخرىٰ كثيرة من القرآن الكريم .

وقد أحصيت المواضع التي وجّه أبو شامة – رضي الله عنه – القراءة فيها بوجودها كذلك في أحد المصاحف العثمانية فوجدت جملة ذلك في تسعة عشر موضعـًا[1]، ومن أمثلة ذلك : –

* ـ عند قول الإمام الشاطبي –رحمه الله– (في سورة الإنسان) :

(١) للمزيد من المواضع ينظر إبراز المعاني صفحات : ٣٤٥ ، ٤٠٦ ، ٤٦١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٥٧٠ ، ٥٩١ .

وَفِي الثَّانِ نَوِّنْ (إِ)ذْ (رَ)وَوْا (صَـ)ـرْفَهُ وَقُلْ .·. يَمُـــدُّ هِشَـــامٌ وَاقِفًا مَعْهُـــمُ وِلا[1]

قال أبو شامة في شرح البيت :" يعني: ﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ ﴾[2]، ولكونه ليس برأس آية لم يقف عليه بالألف ممن لم ينون في الوصل إلا هشام، أما من نونه فوقف عليه بالألف المبدلة من التنوين فلهذا قال: واقفا معهم؛ أي: مع المنونين، ووِلا بالكسر؛ أي: متابعة للرسم فإنه بالألف في أكثر المصاحف كالذي قبله، قال الفراء: ثبتت الألف في الأولىٰ؛ لأنها رأس آية، والأخرىٰ ليس برأس آية، فكان ثبات الألف في الأولىٰ أقوىٰ، وكذلك رأيتها في مصحف عبد الله بن مسعود، وقرأ بها أهل البصرة وكتبوها في مصاحفهم كذلك، وأهل الكوفة وأهل المدينة يثبتون الألف فيها جميعا وكأنهم استوحشوا أن يكتب حرف واحد في معنىٰ نصب بكتابتين مختلفتين قال: وإن شئت أجريتهما جميعا وإن شئت لم تجرهما وإن شئت أجريت الأولىٰ لمكان الألف في كتاب أهل البصرة ولم تجر الثانية؛ إذ لم تكن فيها الألف، واختار أبو عبيد : "سَلاسِلا"، و"قواريرًا قواريرًا" كلهن بإثبات الألف والتنوين، قال: وكذلك هي في مصاحف أهل الحجاز والكوفة بالألف، ورأيتها في

(١) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ١٠٩٥.

(٢) سورة الإنسان من الآية : ١٦.

الذي يقال إنه الإمام مصحف عثمان بن عفان: "قَوَارِيرَا" الأولىٰ مثبتة، والثانية كانت بالألف فحُكَّت، ورأيت أثرها بيِّنًا هناك[١]".

وهو هنا يشير إلىٰ وجود الألف ثابتة من لفظي " سلاسلا "، و" قواريرا " في مصحف سيدنا عبد الله بن مسعود، وكذا في المصاحف المرسلة إلىٰ البصرة، والحجاز، والكوفة، وكذا في مصحف الإمام بالمدينة، وكذا في أكثر المصاحف .

وفي بعض المواضع قد لا يصرّح أبو شامة – رحمه الله – باسم المصر المرسل إليه ويكتفي فقط ببيان أن اللفظ هكذا رسم في المصاحف ومن أمثلة ذلك :

عند قول الشاطبي– رحمه الله – في (سورة الحج):

وَمَعْ فَاطِرَ انْصِبْ لُؤْلُؤًا (نَـ)ـظْمُ (إِ)لْفَةٍ .:. وَرَفْعَ سَوَاءَ غَيْرُ حَفْصٍ تَنَخَّلا[٢]

حقال أبو شامة – رحمه الله – في شرح البيت :" أي: انصب لؤلؤا هنا مع حرف فاطر يريد: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾[٣]، فوجه الخفض العطف علىٰ: ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ ووجه النصب العطف علىٰ موضع من "أساور" أو علىٰ تقدير "ويحلون لؤلؤا" ورسم بالألف في الحج خاصة دون فاطر والقراءة

(١) الزجاج معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٠.

(٢) الشاطبي حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٨٩٥.

(٣) سورة الحج من الآية : ٢٣.

نقل فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوىٰ، وليس اتباع الخط بمجرده واجبا ما لم يعضده نقل، فإن وافق فبها ونعمت ذلك نور علىٰ نور، قال الشيخ: " وهذا الموضع أدل دليل علىٰ اتباع النقل في القراءة؛ لأنهم لو اتبعوا الخط وكانت القراءة إنما هي مستندة إليه لقرءوا هنا بألف، وفي الملائكة بالخفض "[(١)]، قال أبو عبيد: " ولولا الكراهة لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحب إلي فيكون هذا بالنصب، والآخر بالخفض "[(٢)].

أبو شامة – رحمه الله – أكد علىٰ أكثر قضايا علم القراءات أهمية وهي التواتر، وبيّن أن رسم الكلمة وحده لا يكفي في صحة القراءة، فإذا وافق الرسم نقل القراءة فبها ونعمت، وهذا يدلّل علىٰ أن العمدة في القراءات إنما هو علىٰ النقل أما العربية وموافقة الخط فهما تابعان إن وجدا مع النقل فهما نور علىٰ نور علىٰ حد تعبيره .

(١) السخاوي فتح الوصيد ٤ / ١١٢١، ١١٢٢.

(٢) ينظر الفارسي الحجة ٥/ ٢٦٧ ، ٢٦٨، أبو شامة إبراز المعاني : ٦٠٤.

الخاتمة

بعد ما تقدم في هذا البحث من الحديث حول تنوّع توجيه القراءات القرآنية عند أبي شامة – رحمه الله – ، وكيف أنه استخدم أدوات عدة لهذا الشأن، واستخرج من أبيات الإمام الشاطبي – رحمه الله – معاني جمّة وفوائد عظيمة القدر وقضايا نافعة لكل المشتغلين بعلم القراءات؛ لذا رأيت أنه يجب أن أنبه علىٰ أهم النتائج التي توصّل إليها هذا البحث، ألا وهي :-

١- قصيدة الشاطبية للإمام الشاطبي – رحمه الله – ثرية بألفاظها ومعانيها ما جعل الإمام أبا شامة – رحمه الله – يبدع في شرحها وإيضاح رموزها وبيان معانيها فجاء اسم شرحه (إبراز المعاني) متوافقًا مع ما حواه؛ لذا صدقت تسميته وأصاب مصنّفه في اختيار عنوانه .

٢- أن شرح الإمام أبي شامة – رحمه الله – لمنظومة الشاطبية يعدّ من أفضل الشروح لها، وقد أفاد منه كلّ من اطّلع عليه، واعتمد عليه جلّ الباحثين المتخصّصين في علم القراءات .

٣- المعايشة مع شرح أبي شامة – رحمه الله – والتمعّن في مسائله العلمية وقضاياه القرائية يدرك حقيقة الثقافة العلمية لأبي شامة

– رحمه الله – بالإضافة إلىٰ الجوانب اللغوية والتبحّر الجمّ في شتّىٰ العلوم خاصّة علم القراءات القرآنية .

٤- ذكر أبي شامة – رحمه الله – آراء العلماء ومناقشتها والتفنّن في الموازنة والتقريب بينها وعرضها بأسلوب ماتع واستخراج ما يراه الأنفع لتوجيه الكلمة القرآنية يدلّل علىٰ سعة اطّلاعه وقد ظهر هذا جليـًا عند توجيه القراءة المطعون عليها من قبل بعض أهل اللغة ودفاعه عنها بكل ما أوتي من قوة .

٥- أن الاشتغال بالقرآن الكريم وما يتعلّق به من قراءات من أعظم الأمور التي ينبغي علىٰ الإنسان أن يقوم بها فالقراءات تعدّ رافداً أساسيـًا لكثير من العلوم من تفسير وفقه ولغة وغيرها الكثير .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

أهم المصادر والمراجع

١- إبراز المعاني لأبي شامة– طبعة: دار الكتب العلمية – بدون تاريخ .

٢- إعراب القرآن - المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفىٰ: ٣٣٨هـ) - وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم - الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ .

٣- الأعلام لخير الدين الزركلي - الناشر دار العلم للملايين، ط١٥: ٢٠٠٢م .

٤- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - الناشر: دار الفكر: ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .

٥- البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم : ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م: دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابي الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات) .

٦- بغية الوعاة للسيوطي، تح : محمد ابو الفضل إبراهيم : المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د.ت.

٧- البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفىٰ: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ .

٨- تاج العروس لمرتضىٰ الزبيدي - الناشر دار الهندية - بتحقيق جماعة من المحققين.

٩- التحرير والتنوير لابن عاشور-دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

١٠- تذكرة الحفاظ للذهبي - الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١٩،١هـ = ١٩٩٨م .

١١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تح : د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت: ط١، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م.

١٢- توجيه القراءات عند الفراء من خلال كتابه معانىٰ القرآن، د.إبراهيم الزهراني، بحث (ماجستير)، ١٤٢٧هـ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرىٰ.

١٣- توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرًا وإعرابًا، د.عبد العزيز الحربىٰ، بحث ماجستير، جامعة أم القرىٰ، كلية الدعوة وأصول الدين : ١٤١٧هـ .

١٤- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) تح : هشام سمير البخاري - الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣ م.

١٥- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، طبعة دار المأمون للتراث بيروت – ط٢: ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م - تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرين.

١٦- الحيوان، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى:٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ .

١٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤: ١٤١٨هـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون.

١٨- ديوان امرئ القيس لامرئ القيس، عناية : عبد الرحمن المصطاوي - الناشر: دار المعرفة – بيروت، ط٢: ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م .

١٩- زاد المسير في علم التفسير - المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣: ١٤٠٤هـ .

٢٠- سير أعلام النبلاء - تحقيق: مجموعة من المحققين – إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط٣ : ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م.

٢١- شرح الكافية الشافية لابن مالك– تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي – الناشر: جامعة أم القرىٰ – مكة المكرمة – الطبعة الأولىٰ – بدون تاريخ .

٢٢- شرح المفصل لابن يعيش - تقديم د/ إميل يعقوب – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

٢٣- شرح ديوان المتنبي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفىٰ: ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفىٰ السقا/ إبراهيم الأبياري/ عبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة – بيروت .

٢٤- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفىٰ: ٣٦٨ هـ)، تحقيق أحمد حسن مهدلي،

علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ .

٢٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري– تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

٢٦- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٧- طبقات الشافعية لابن قاضىٰ شهبة – تحقيق د/ الحافظ عبد العليم خان – دار النشر :عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولىٰ : ١٤٠٧ هـ .

٢٨ - طبقات الشافعية الكبرىٰ لتاج الدين السبكي - تحقيق د/ محمود محمد الطناحي .

٢٩ - العين للخليل بن أحمد - تحقيق د/ مهدىٰ المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة الهلال، بدون تاريخ .

٣٠ - غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري - الناشر - مكتبة ابن تيمية - عنىٰ بنشره أول مرة برجستراسر عام ١٣٥١هـ .

٣١ - غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفىٰ: ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٧هـ .

٣٢ - كتاب فيه لغات القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفىٰ: ٢٠٧هـ)، ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع، سنة النشر: ١٤٣٥هـ .

٣٣ - لسان العرب لابن منظور- طبعة دار صادر- بيروت - ط الثالثة، ١٤١٤هـ، بدون تحقيق .

٣٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفىٰ: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م .

٣٥ -

٣٦ - المصباح المنير للفيومىٰ - تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان - دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.

٣٧ - معالم التوجيه والاحتجاج للقراءات القرآنية المتواترة دراسة تأصيلية، د/ محمد مصطفي علوه، بحث (دكتوراه) في القراءات وعلومها، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، كلية القرآن الكريم بطنطا، جامعة الأزهر .

٣٨ - مجاز القرآن - المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ التيمىٰ البصري (المتوفىٰ: ٢٠٩هـ) تح : محمد فواد سزگين - الناشر: مكتبة الخانجىٰ – القاهرة: ١٣٨١ هـ .

٣٩ - معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفىٰ: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .

٤٠ - معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، د/ عبد العلىٰ المسؤول - الناشر: دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٤١ - معرفة القراء الكبار للذهبي - الناشر : دار الكتب العلمية – الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ =١٩٩٧م .

٤٢ - مقاييس اللغة لابن فارس - تحقيق/ عبد السلام هارون، الناشر، دار الفكر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٤٣ - المقتضب، لمحمد بن يزيد، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب، بيروت .

٤٤ - مقدمات في علم القراءات - د/ محمد القضاة، د/ أحمد شكري، د/ محمد منصور، الناشر: دار عمار، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

٤٥ مناهج التوجيه في أصول النشر د/ بشير أحمد دعبس، بحث مستل من مجلة كلية القرآن الكريم، العدد ٣٠ لسنة ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٨١
المقدمـــــة	١٨٥
المبحث الأول : حياة الإمام أبي شامة	١٩١
المطلب الأول : التعريف بأبي شامة	١٩٢
المطلب الثاني : شيوخ الإمام أبي شامة وتلاميذه	١٩٨
المطلب الثالث مؤلفات أبي شامة ، وآراء العلماء فيه	٢٠١
المطلب الرابع : مصنف إبراز المعاني لأبي شامة	٢٠٦
المطلب الخامس : وفاة أبي شامة ـ رحمه الله ـ .	٢٠٩
المبحث الثاني : أساليب توجيه القراءات عند أبي شامة	٢١٠
المطلب الأول توجيه القراءة بما يناسب السياق أو النظير	٢٢٢١
المطلب الثاني توجيه القراءات بوجودها في حديث النبي ﷺ أو أحد الآثار الواردة عن الصحابة	٢٢٥
المطلب الثالث : توجيه القراءات بما في كلام العرب	٢٣٦
المطلب الرابع : توجيه القراءات علىٰ أنها لغة	٢٤٥
المطلب الخامس : توجيه القراءة من خلال المعنىٰ	٢٥٤
المطلب السادس : توجيه القراءة ببيان وجهها الإعرابي	٢٦١
المطلب السابع : توجيه القراءة بموافقة الرسم المصحفي	٢٧٤
الخاتمـــــة	٢٧٧٨
أهم المصادر والمراجع	٢٨١
فهرس الموضـــوعات	٢٨٨